

الْأُمَّةُ الرُّومِيَّةُ الْأَرْثُوذُكْسِيَّةُ
تَحْتَفِلُ بِذِكْرِي

عَوْدَةٌ رُفَاتٍ

القَدِيسِ سابا المُتَقَدِّسِ
إِلَى دَيْرِهِ الْعَامِرِ

مِنَ الْبُنْدُوقِيَّةِ إِلَى صَحْرَاءِ يَهُوذَا

Ὁ ἌΓΙΟΣ
ΣΑΒΒΑΣ

إِعَادَةُ رُفَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ
مِنَ الْبُنْدُوقِيَّةِ
إِلَى دَيْرِ الْقُدَيْسِ سَابَا
فِي صَحْرَاءِ يَهُوذَا

١٣ / ١٠ / ١٩٦٥ م

غ ۱۹۶۵ / ۱۰ / ۲۶





كلمة صاحب الغبطة
بطريرك المدينة المقدسة
كيرىوس كيرىوس ثيوفيلوس الثالث
بمناسبة إعادة رفات
القديس سابا المتقدس
إلى دير العمار

✠ 13/10/18 شرقي، الواقع في ✠
26/10/2018 غربي

امْتَحَانَ إِيمَانَكُمْ، الَّذِي هُوَ أَثْمُنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ
بِالنَّارِ، فَيَكُونُ أَهْلًا لِلْمَذِيحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ ظُهُورِ يَسُوعَ
الْمَسِيحِ» (١ بط ١: ٦-٧)

لقد صار أبونا البار سابا مقبولاً من الربِّ إلهنا «كَذَبِيحَةٍ مُحَرَّقَةٍ»
استُنْفِزَتْ كُلُّهَا عَلَى الْمَذْبَحِ، وَأَمَّا تَجَارِبُ الْمُؤْمِنِ الْكَثِيرَةِ فَهِيَ تُقَرِّبُ
لِلَّهِ كَرَاتِيحَةً طَيِّبَةً ذَكِيَّةً.

وأيضاً إن اختبار إيمان الأبرار بالنار سيؤول إلى المدح والمجد والكرامة
في يوم الدينونة العظيم عند استعلان ربنا يسوع المسيح القاضي
المجيد.

إن حقيقة هذه الأقوال الكتابية يؤكدُها بدالة وبرهان عظيمين
ويذيعُ بها صادحاً للجميع ما نشهده ونشاهده أمام ناظر أعيننا ألا
وهو الجسد الكامل وغير البالي لأبينا القديس المتوشح بالله سابا
المتقدس المُفِيضُ لِلطَّبِيبِ. هذا هو إيمان آبائنا، هذا هو إيمان
كنيستنا، هذا هو إيمان المسيحيين الأرثوذكسيين.

أيها الإخوة الأحبة، إن أساس كنيستنا الأرثوذكسية هو المسيح وأما
قديسو كنيستنا فهم «مُخْتَارِي اللَّهِ الْقَدِيسِينَ الْمَحْبُوبِينَ» (كو ٣: ١٢)
كما يُكْرَمُ الْقَدِيسُ بُولُسُ الرَّسُولُ.

لهذا فنحن مدعوون اليوم من أبينا البار القديس سابا لكي نكون
مشاركين في بِرِّ رَبِّنا يسوع المسيح وأن نصير متمثلين ومقتدين
بقديسي الله وأبراره، الذي له المجد والعزة والرحمة إلى الأبد. آمين.

كل عام
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم
مع أدعيتنا وبركاتنا الأبوية

«كَثِيرَةٌ هِيَ أَحْزَانُ الصَّدِيقِينَ، وَمَنْ جَمِيعُهَا يُنَجِّهِمُ الرَّبُّ. يَحْفَظُ
جَمِيعَ عِظَامِهِمْ. وَاحِدٌ مِنْهَا لَا يَنْكَسِرُ.» (مز ٣٣: ٢٠-٢١)

أيها الآباء الأجلاء والإخوة المحبوبون في المسيح،
أيها المسيحيون الزوار الأتقياء

لقد جمعنا اليوم في دير العجائبي صديق الربِّ سابا المتقدس، لكي
بشكرٍ وتمجيدٍ نُعيدُ لاستعادة رفاته المقدسة وجسده الكامل غير
البالي من الغرب إلى موضع عبادته ومكان نسكه وجهاداته من جهة



ومن الجهة الأخرى لكي نصافحه بالشفاه والقلوب في ناووسه
الفضي الجديد والمزخرف الذي نُقِلَ جسده إليه قبل مدة قصيرة.

أيها الأحبة، يقول القديس يوحنا الإنجيلي في سفر الرؤيا: «عَظِيمَةٌ
وَعَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكُ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ الضَّابِطِ الْكُلِّ، عَادِلَةٌ وَحَقٌّ
هِيَ طُرُقُكَ يَا مَلِكُ الْأُمَمِ» (رؤ ١٥: ٣)

عَادِلَةٌ وَحَقٌّ هِيَ طُرُقُ الرَّبِّ حَقًّا، لَقَدْ سَارَ أَبُونَا الْبَارُ سَابَا فِي طُرُقِ
الرَّبِّ هَذِهِ، فَخَلَّصَهُ الرَّبُّ وَنَجَّاهُ مِنْ أَحْزَانٍ وَتَجَارِبٍ كَثِيرَةٍ، لِهَذَا فَإِنْ
سَلِمَانُ الْحَكِيمِ يَقُولُ: «أَنَّ اللَّهَ امْتَحَنَ (هَؤُلَاءِ الصَّدِيقِينَ) فَوَجَدَهُمْ
أَهْلًا لَهُ. خَصَّصَهُمْ كَالذَّهَبِ فِي الْبُودَقَةِ، وَقَبَّلَهُمْ كَذَبِيحَةٍ مُحَرَّقَةٍ»
(حك ٥: ٣-٦)

وعن تجارب وأحزان المؤمنين يؤكد القديس الرسول بطرس في رسالته
الأولى الجامعة أنها امتحان للإيمان بالمسيح، إذ يقول: «إِنْ كَانَ
ذَلِكَ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ تُحْزَنُوا يَسِيرًا بِتَجَارِبٍ مُتَنَوِّعَةٍ، لِكَيْ يَكُونَ



نحو الأبدية. فالإنسان، بعدما دخل في حيز الفساد والموت، بات يملك الآن القوة والإمكانية ليسير نحو عدم الفساد، والقيامة، والحياة الأبدية في المسيح.

وفي عصرنا الحاضر، المضطرب والخطير، تبدو هذه الحقائق كلها غريبة وغير مفهومة. ويحدث ذلك لأن الإنسان، بعدما ابتعد عن الله خالقه، تجاهل أيضًا الإعلان الإلهي الذي يتضمنه الكتاب المقدس والتعليم الآبائي، الذي هو التفسير الأصيل للكتاب المقدس. فالإنسان المعاصر يدرس كل شيء إلا تلك الحقائق التي يستطيع من خلالها أن يعرف من هو الله خالقه، ومن هي والدة الإله مريم التي نُعيِّد لها. ومن خلال الدراسة نتعرّف إلى شخص والدة الإله مريم، ونفهم في الوقت نفسه لماذا اختارها الله من بين الجنس البشري كله لكي تصير أمًا له. إن سيدتنا العذراء كانت مملوءة محبة غير محدودة وكاملة لله، وقد برهنت على ذلك بأقوالها وأعمالها، التي كانت متطابقة تمامًا مع مشيئته. وبمحبتها هذه لله وللقرى، وبإيمانها الكياني، وبعتها ونقاوتها، وبوداعتها وتواضعها، اجتذبت الله إليها، فرفعها إلى تلك المنزلة التي جعلها فيها أمًا له وأمًا للجنس البشري كله.

وبصفها أمنا جميعًا بالنعمة، تحب سيدتنا العذراء كل نفس وتحمل هم كل واحد منا، ولذلك تشفع فينا بلا انقطاع لدى ابنها. ولكن كيف نبادل نحن هذه المحبة؟ إن اقترابنا من والدة الإله وسجودنا لأيقونتها، فيما نحن مصرون على أهوائنا ونسير وراء العالم وشهواته الخاطئة، ليس علامة محبة لها، بل مجرد عمل شكلي يظهر من خلاله امتنانًا زائفًا.

أما محبتنا لها فتظهر عندما نسير على خطاها في عفتها ونقاوتها، وفي تواضعها، وفي سائر فضائلها. والمحبة الكيانية لسيدتنا العذراء تعني أيضًا أن نصغي إلى وصيتها: «مَهْمَا قَالَ لَكُمْ (المسيح) فَافْعَلُوهُ» (يوحنا ٢: ٥)، وأن نطيع، كما أطاعت هي نفسها، مشيئة الله. بهذه الطريقة وحدها سنحيا بسلام ومحبة مع قريتنا في هذه الحياة، وفي الحياة الأخرى سنكون إلى الأبد بالقرب منها، في ملكوت ابنها الأبدي. آمين.

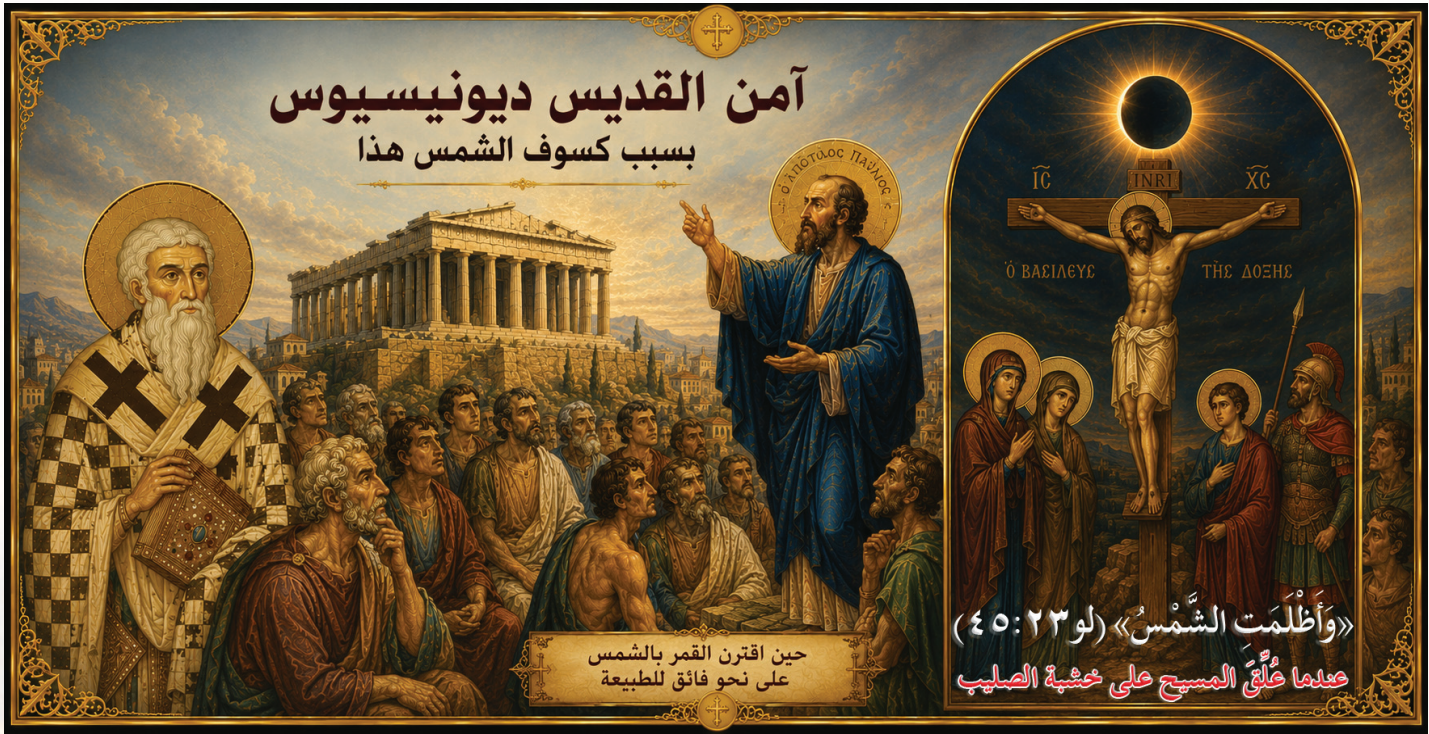
والدة الإله... التي غيّرت مسار التاريخ البشري

تحتلّ والدة الإله مريم مكانة فريدة في سرّ التدبير الإلهي لخلاص الإنسان؛ فمنها أخذ ابن الله وكلمته طبيعتنا البشرية، ومنها أخذ ابن الله وكلمته طبيعتنا البشرية، فصار إنسانًا كاملاً، وهو باقٍ إلهًا كاملاً، من أجل خلاص العالم. وبقبولها المتواضع لمشية الله، دخل التاريخ البشري منعطفًا جديدًا، إذ أشرق منها المسيح مخلص العالم. لذلك تطوّبت الكنيسة جيلًا بعد جيل، وتكرّمها أمًا للربّ الإله-الإنسان، مؤمنة بأنها قائمة بقرب ابنها، شفيعة للبشر. ولا تُفهم والدة الإله مريم على أنها مجرد فتاة من الناصرة، بل هي العذراء الدائمة البتولية، التي ولدت، بحسب القديس كيرلس الإسكندري، «ربًا واحدًا يسوع المسيح، ابن الله، أي كلمة الله الآب، الذي تأتس وتجسد».

إن نسطور وغيره من الهرطقة، لأنهم كانوا يدرسون الفلسفة اليونانية القديمة، لم يدركوا كيف تمّ اتحاد الطبيعتين، الإلهية والبشرية، في شخص الربّ الإله-الإنسان. وقد دحضت الكنيسة، في الجمع المسكوني الرابع، تعليم هؤلاء الهرطقة، معلنة اتحاد الطبيعتين في شخص واحد، هو ربنا يسوع المسيح، «بلا تحوّل، ولا اختلاط، ولا انقسام، ولا انفصال»، بحيث يكون هو نفسه إلهًا وإنسانًا معًا، ونُسب إلى الواحد عينه جميع الأمور اللاتقة بالله، وكذلك الأمور البشرية. - ما خلا الخطيئة - فنحن، إذًا، نركز بالحقيقة الخلاصية للجنس البشري: إن سيدتنا العذراء ولدت إلهًا كاملاً وإنسانًا كاملاً، وأعلنت والدة الإله.

وسيدتنا العذراء هي والدة الإله بمعنيين: فمن جهة، لأنها «ولدت إلهًا متجسدًا»، ومن جهة أخرى، لأن الطبيعة البشرية، التي اتحدت بالطبيعة الإلهية في شخص ابنها يسوع المسيح، قد تألّمت في أحشائها الطاهرة. وهكذا يستطيع أعضاء الكنيسة الرّومانية الأرثوذكسية أن يجيوا في شركة مع الربّ الإله-الإنسان، وأن يتأهّوا بالنعمة.

يفرح الجنس البشري بوالدة الإله مريم، لأنها السبب في تغيير مسار التاريخ البشري. فبوالدة الإله مريم يتحقّق سرّ التدبير الإلهي، وبمجيء الربّ الإله-الإنسان إلى الأرض يأخذ التاريخ البشري مسارًا جديدًا



تذكار القديس ديونيسيوس الأريوباغي - ١٠/ ٣ شرقي في سنكسار القديس نيقوديموس الآثوسي

في الثالث من شهر تشرين الأول، يا ديونيسيوس،
فُطِعَ رأسك، فأعقب ذلك أمرٌ عظيم، فمضيتَ حاملاً إياه.

كان القديس ديونيسيوس أثينياً شهيراً، ذا ثقافة واسعة وفكر فلسفي عميق، وكان واحداً من الأعضاء التسعة في أعدل محكمة في أثينا، المعروفة باسم الأريوس باغوس. وقد فاق سائر أعضائها في الغنى والجد والحكمة والفطنة، وعاش معاصراً للرَّبِّ وللرسل القديسين.

وقد قاده شغفه بالمعرفة إلى مصر، حيث أقام في هليوبوليس (بالقرب من مدينة القاهرة الحالية)، لمتابعة دراسة الأفلاك والنجوم. وبحسب التقليد، كان هناك برفقة الفيلسوف أبولوفانيس عندما حدثت الظلمة العجيبة ساعة صَلَبِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. وإذ تيقن أن هذه الظاهرة لا يمكن تفسيرها تفسيراً طبيعياً، هتف قائلاً: «إِنَّمَا أَنَّ الطَّبِيعَةَ تَتَغَيَّرُ، أَوْ أَنَّ إِلَهَهُ يَتَأَلَّمُ».

وقد أثارت هذه الظاهرة دهشته العميقة؛ إذ كان ذلك زمن الفصح اليهودي، أي في منتصف الشهر القمري، حين يكون القمر بدرًا أو قريباً من البدر؛ بينما لا يمكن للكسوف الشمسي الطبيعي أن يحدث إلا في طور المحاق، عندما يكون القمر بين الأرض والشمس. ولذلك أدرك ديونيسيوس أنَّ ما عاينه لم يكن ظاهرة فلكية طبيعية، بل حدثاً يتجاوز نظام الطبيعة.

وظلَّ هذا الحدث راسخاً في نفسه، حتى سمع العظيم بولس يكرز بالمسيح في الأريوس باغوس، ويتحدث عن الظلمة التي حدثت ساعة صَلَبِهِ. ففارق ديونيسيوس ما كان يقوله الرسول بما كان قد عاينه بنفسه في مصر ساعة صَلَبِ الرَّبِّ، حين اقترن القمر بالشمس على نحو فائق للطبيعة. فكانت تلك العلامة، مع كرازة الرسول بولس، ختمًا على الحقيقة التي انكشفت أمامه؛ فأمن بالمسيح واعتمد.

لاحظ التعبير اليوناني الدقيق الذي يذكره السنكسار المقدس:

«ὅταν ἡ σελήνη ὑπὲρ φύσιν ἐσυνώδευσεν μετὸν ἥλιον»
«أوتان إي سيليني إيبير فيسين إسινوددوسه مع تون إيلون»
أي: «حين اقترن القمر بالشمس على نحو فائق للطبيعة».

ثم تتلمذ على يد الطوباوي إيروثيوس، وتعلَّم منه العقائد السريّة في اللاهوت، واستحقَّ، كما يقول هو نفسه، تلك النعمة عينها التي للرُّوح القدس، والتي كان إيروثيوس أيضاً قد نالها. ولأن هذا الحبر الإلهي رفع ذهنه كلّهُ نحو العلويات والسماويات، فقد أخذ يتفلسف ويؤلّف في آن معاً، فكتب: «في الرئاسة السماوية للملائكة الفائقين للعالم»، و«في الرئاسة الكنسية»، و«في الأسماء الإلهيّة»، و«في اللاهوت الإثباتي واللاهوت التنزيهي»، إلى جانب مؤلفات أخرى في الأمور السماوية والسريّة. ثم سيمَّ أسقفًا على أثينا، فرعى رعيته رعاية حسنة. ولما رقدت سيدتنا والدة الإله وانتقلت إلى ابنها، حضر العظيم ديونيسيوس أيضاً، على نحو عجائبي، رقادها، إذ اختطف في سحابة مع الرسل القديسين ورؤساء الكهنة الإلهيين. (١)

ثم توجّه إلى روما، ناشراً في كل مكان كرازة الإيمان القويم. وهناك التقى القديس كليمنضس أسقف روما، وبايعاز منه توجّه إلى بلاد الغال الغربية، أي إلى الفرنسيين، كما يُسمّون في اللغة الدارجة، برفقة تلميذه روستيكوس والفثيريوس.

وبعد أن زرع هناك أيضاً كلمة الإيمان، توجّه إلى باريس، عاصمة فرنسا الحالية. وهناك بنى في أحد المواضع بيتاً للصلاة وكنيسة صغيرة، وأقام يعلم ويجتذب إلى الإيمان القويم، بأقواله وأعماله وعجائبه، ولا سيّما ببشاشته نفسه، جميع الوثنيين المقيمين هناك، من ذوي المكانة ومن عامة الناس، وحتى أهل العلم والثقافة. ولما سمع الإمبراطور دوميتيانوس، الذي تولّى المُلك سنة ٨٢، بما ذاع عن هذه الأمور، غضب، فأمر بقطع هامة القديس وهامتي تلميذه روستيكوس والفثيريوس، خارج مدينة باريس. وعندئذ حدث للعظيم ديونيسيوس عجب بالغ العذوبة والروعة

معًا. فلما قُطِعَ رأس القديس، حمل رأسه المقدس بيديه، وسار به مسافة ميلين، ولم يضعه حتى التقى في الطريق امرأة تُدعى **كاتولا**. فتوقّف، **بتدبير العناية الإلهية**، ووضع رأسه المقدس، كأنه كنز، في راحتي يديها. (أنظر الأيقونة رقم ٢ في صفحة ٦)

ولما طُرحت رفاتها المكرّمة لتأكلها الوحوش وطيور السماء، أخذها بعض المسيحيين سرًا، وأخفوها في ذلك الحين في موضع مستور، خوفًا من الجنود. وبعد أن انصرف الجنود، أخذت **الطوباوية كاتولا** الرفات من هناك، وحفظتها ككنز في أحد البيوت. ثم بنى المسيحيون في ذلك الموضع هيكلًا وكنيسة على اسم القديسين.

أمّا من حيث هيئته الجسدية، فكان **القديس ديونيسيوس** متوسط القامة، نحيل الجسم، أبيض البشرة تميل قليلاً إلى الصفرة، قصير الأنف بعض الشيء، كثيف الحاجبين، غائر العينين، كبير الأذنين. وكان شعره أبيض طويلاً، ولحيته كذلك متوسطة الطول وخفيفة. وكان بارز البطن قليلاً، طويل الأصابع.

هذا ويُقام تذكاره في الكنيسة العظمى المقدسة جدًا. (ولمن أراد الاطلاع على سيرته بصورة أوسع، فليراجع «الفردوس الجديد». وكذلك فليراجع في «البوق» المديح اليوناني الذي وضعه جورج القبرصي في القديس ديونيسيوس). (٢)

ولما كانت الرواية التي يوردها **الإلهي ديونيسيوس** في رسالته إلى **ديموفيلوس الخادم، أي راهب**، باعثة على الخشوع، لأنها تعلّمنا مقدار **محبة الله** للبشر التي يُظهرها تجاه الخطاة، رأينا أنّ من النافع أن نوردها هنا. فيقول الأب الإلهي لديموفيلوس ما يلي:

«عندما ذهبتُ، يقول، إلى جزيرة كريت، استضافني **القديس كاربوس** (٣)، وكان واحدًا من الرسل الذين يُعرفون بالاسم الجامع «**الرسل السبعين**». وكان هو أيضًا رجلًا مقتدرًا جدًا في **معاينة الله**، بسبب ما كان يتمتع به من نقاوة عظيمة في الذهن، وإن كان يوجد آنذاك آخرون ممّن بلغوا مثل هذه القامة.

فإن هذا **المثلث الغبطة** لم يكن يُقدّم قط على إتمام **خدمة الأسرار الإلهية**، ما لم يكن قد عاين قبل ذلك، أثناء الصلوات التمهيدية السابقة للخدمة (ومنها صلاة **السّحرة**)، **رؤيا إلهية مقدسة**؛ أي إنه، حين كان يتضرّع قبل الخدمة لكي يُؤَهَّل **لتناول الأسرار الإلهية** بلا دينونة (كما في صلاة المطالبسي)، لم يكن يشرع في الخدمة ما لم يكن قد عاين أولاً **رؤيا مقدسة من الله**.

وكان **القديس كاربوس** يقول: إنّ رجلًا وثنيًا غير مؤمن قد أحزنه، إذ أضلّ أحد المسيحيين وجعله وثنيًا. وفي الوقت الذي كانت لا تزال فيه تُقام أيام الابتهاج بارتداد ذلك المسيحي إلى الوثنية، وكان الوثنيون يفرحون ويقدمون الذبائح لأهلهم لأنهم جعلوا مسيحيًا وثنيًا، كان ينبغي لكاربوس الإلهي أن يتضرّع إلى **الله** بمحبة وصلاح من أجل كليهما: لكي يعيد، **بمعونة الله**، المسيحي إلى الإيمان، ويغلب ضلال الوثني، وهكذا يرتقي بكليهما إلى **معرفة الله**.

فلأنه، إن جاز لي أن أقول، قد قطّر في نفسه عداوة ومرارة شديتين تجاه دينك البائسين، نام وهو في هذه الحال السيئة. وكان الوقت، حين

استولى عليه ذلك الحزن، مساءً.

ولأنه كان معتادًا أن ينهض عند منتصف الليل **ومجدد الله**، نفض في تلك الليلة أيضًا كعادته. وبينما كان واقفًا يصلي، استمر في حزنه، ولكن حزنًا لم يكن صالحًا، وكان يقول: «ليس من العدل أن يعيش أناس ملحدون ووثنيون، ويُفسدوا سبيل الرب المستقيمة». وإذا كان يقول ذلك، أخذ يتضرّع إلى **الله** أن يُنزل عليهم صاعقة، فتقضي بلا رحمة على حياة الاثنين معًا.

وما إن قال ذلك حتى خُيِّل إليه، كما كان يروي، أنه رأى فجأة البيت الذي كان يصلي فيه يهتزّ بأسره أولاً، ثم ينشقّ إلى قسمين من السقف إلى أسفله. وبدا له أيضًا أنّ السماء قد انفتحت، فرأى في أعاليها **يسوع المسيح**، ومعه ملائكة لا يُحصى عددهم، واقفين حوله في هيئة بشر.

وكان **كاربوس** ينظر إلى هذه الأمور في العلاء ويتعجّب. ثم أطرق ناظرًا إلى أسفل، فرأى أرض البيت قد انشقت، وصارت هوة مظلمة عميقة جدًا. وعند فم الهوة رأى الرجلين اللذين كان يلعنهما، واقفين هناك مذعورين بائسين، وقد أوشكا أن يسقطا في الهوة من شدة الرعب واضطراب أقدامهما.

وكان يرى من أسفل الهوة حياتٍ تصعد، تزحف بين أرجل دينك البائسين جدًا؛ فتارةً كانت تفتح (أي تُصدر فحيحها)، مهددة إياهما وجاذبة لهما، وتارةً أخرى كانت تعضّهما بأسنانهما وتضربهما بأذناهما. وكانت تحاول بكل وسيلة أن تلقيهما في ذلك العمق الذي لا قرار له، فتحرّكهما وتدفعهما وتضربهما.

وهكذا بدا أن البائسين لا بدّ أن يسقطا في الهوة، شاء أم أبى، إذ كان الشرّ يدفعهما إليها قسرًا.

ولما رأى **القديس كاربوس** هذه الأمور، كان يقول إنه لم يعد يريد أن يرفع نظره إلى السماء، ولا إلى **السيد المسيح الجالس فيها**، بل كان يحزن ويضطرب لأنّ دينك الرجلين لم يكونا قد سقطا في الهوة منذ وقت أبكر. ولذلك حاول هو نفسه مرارًا أن يدفعهما إليها، ولكنه لم يستطع، فكان يحزن ويلعنهما.

ثم بعد ذلك، رفع **كاربوس** نظره إلى العلاء بشق النفس، فرأى السماء من جديد كما كان قد رآها من قبل. ورأى **يسوع المسيح**، وقد تحنّن على دينك البائسين لِمَا كانا فيه من خطر، فنهض عن عرشه ونزل، واقترب منهما ومدّ إليهما يد المعونة. وكان الملائكة الإلهيون يعاونون **يسوع** أيضًا، فأمسك كلّ واحد منهم بأحد الرجلين.

عندئذ رأى **كاربوس يسوع المسيح**، وقد مدّ يده إليه، وقال له:

«فاضربني أنا إذا! فإنني مستعدّ أن أتألم من جديد، ومرات كثيرة، لكي يخلص البشر. وهذا أحبّ إليّ، ما دام الآخرون لا يخطئون بذلك. ولكن تأمل أنت: هل من النافع لك أن تستبدل الشركة مع الله والملائكة الصالحين بالشركة الأبدية مع الحيات والشياطين؟» ويفسر باخيميريس قول **المسيح هذا** بأنّ معناه: لو أنّ البشر لا يعودون فيصلبوني، فيخطئون من جرّاء ذلك ويستوجبون عقابًا أشدّ، فأنا مستعدّ أن أتألم من جديد وأموت من أجلهم. (٤).

روائع تفسير هذه الملاحظات، للقديس نيقوديموس الآثوسي

(١) نُشير هنا إلى أن ميخائيل السينكلوس، كاهن أورشليم، وضع في مدح العظيم ديونيسيوس هذا مديحًا بديعًا، مطلعُه: «سماوية حقًا والهيّة...»، وهو محفوظ مطبوعًا ضمن شروح ديونيسيوس.

وكذلك وضع نيكيتاس الخطيب البافلاغوني مديحًا له، مطلعُه: «أن يصعد إلى جبل عال...». ويذكر فيه أن العظيم ديونيسيوس هذا ذهب إلى أورشليم حين كانت سيدتنا والدة الإله لا تزال على قيد الحياة. ولما رآها تعجّب، وقال إن الإنسان، حتى وإن لم يكن يعرفها من قبل، يستطيع من مجرد رؤيته لهيئتها الجسدية أن يدرك أنها والدة الإله.

وهذا الأمر عينه تذكره أيضًا سيرته المطوّلة، المحفوظة في أديرة ديونيسيوس، وقانونيدي، وإشيرون، في جبل آثوس في اليونان.

وقد اجتهد عدم استحقاقه أيضًا في وضع قانون كامل لهذا القديس، إلى جانب الطروباريات الناقصة من خدمته في عبيده؛ فمن أراد أن يعتد للقديس، فليطلبها.

ويقول ميخائيل في مديحه عن العظيم ديونيسيوس هذا إنه ظهر مستحقًا حقًا للصدارة الرسولية؛ وكان معلّم المعلمين، وراعي الرعاة، وشبيهًا ببولس، ورسولًا آخر من المتقدمين. أما الإلهي يوحنا الذهبي الفم فيدعوه: «طائر السماء».

وهنا، أتعجّب حقًا كيف أن المؤلف الحكيم لكتاب المدعو: (المثوية - إيكاتونتايتيريس) «Εκατονταετηρίς»، المطبوع حديثًا، يكتب في الصفحة ١٥٤ أن الفرنسيين قد أخطأوا، إذ يفتخرون بأن ديونيسيوس الأيوباعي هذا صار أول أسقف لبائيس؛ وأنه لم يستشهد بالسيف، بل بالنار في أثينا، من غير أن يورد شاهدًا واحدًا على شيء من ذلك.

أما نحن، فنسمع ميخائيل السينكلوس يقول صراحةً إن بريس كانت آنذاك أصغر مدن بلاد الغال، وإن الإلهي ديونيسيوس هذا استشهد فيها، وإن الموت الذي احتمله كان بالسيف لا بالنار. وكذلك نأخذ بشهادة الشاس موريكيوس، وغيره ممن دونوا استشهاد القديس وسنكساره. وإذ نرى نحن هذه الشهادات ونسمعها، فإننا **نتمسك بالتقليد الذي سلّمه هؤلاء.**

وكذلك تعجّب كثيرًا، بل وحزن كثيرًا أيضًا، إذ رأيت المؤلف نفسه، في كتاب «المثوية» عينه، يرفض - **ويا للأسف!** - مؤلفات العظيم ديونيسيوس هذا، معتبرًا إياها منحولة وموضوعة في أزمنة لاحقة.

وإن كان لم يوقّر القديس مكسيموس المعتبر، والقديس صفرونيوس بطريرك أورشليم، والقديس أندراوس الكريتي رئيس أساقفة كريت، والقديس يوحنا الدمشقي، وسويداس، وميخائيل السينكلوس كاهن أورشليم، والبابا أغاثون بابا روما، وغيرهم كثيرين من الآباء، الذين يقبلون مؤلفات الإلهي ديونيسيوس المذكورة على أنها مؤلفات أصيلة؛ فكان ينبغي له، على الأقل، أن يوقّر **مجمعين مسكونيين:**

١) استشهاد القديس ديونيسيوس الأيوباعي، جدارية من سنة ١٥٤٧م،

في دير ديونيسيوس المقدس، جبل آثوس.

٢) استشهاد القديس ديونيسيوس

نقش فني مأخوذ عن لوحة في البانثيون.

٣) هامة هذا القديس الفائزة نعمة، فهي محفوظة في دير دوخاريو المقدس والملوكي في جبل آثوس.

أعني **المجمع المسكوني السادس**، الذي يستشهد بقول له في جلسته السادسة، **والمجمع المسكوني السابع**، الذي يورد في القانونين الثاني والرابع أقوالاً للقديس ديونيسيوس، بل ويسمّي ديونيسيوس نفسه «**العظيم**». وكذلك كان ينبغي له أن يوقّر مجمعًا محليًا، هو المجمع الذي انعقد في روما في عهد مارتينوس **ضد أصحاب المشيئة الواحدة.**

ولكن لتكن المجمع المسكونية صادقة، إذ لا يمكنها أن تخطئ؛ وليكن كل إنسان بمفرده كاذبًا، إذ يمكنه أن يخطئ، ولو دُعي حكيماً وفيلسوفًا عشرة آلاف مرة.

(انظر الحاشية على القانون الثاني من المجمع المسكوني السابع في كتابنا «البيداليون») وأضيف إلى ذلك أيضًا أن مؤلف كتاب «المثوية» المذكور، يستشهد في مواضع كثيرة جدًا من كتابيه «اللاهوت» و«**الميتافيزيقا**» * بأقوال العظيم ديونيسيوس هذا، لإثبات القضايا التي يعالجها، ويقبل هذه الأقوال على أنها أصيلة.

وكذلك يستشهد بأقوال من هذه المؤلفات في كتاب «الخدمة المقدسة» الذي نقله هو نفسه إلى لغة أخرى. ولذلك، بما أنه يكتب هناك شيئًا، ثم يكتب في «المثوية» شيئًا آخر، فلا ينبغي لأحد أن يلتفت إلى مثل هذا القول، إذ إن صاحبه يناقض نفسه مناقضة واضحة، ولا ينسجم مع نفسه في هذه المسألة.

(٢) لاحظ أن القديس ديونيسيوس، وتيموثاوس، وأونيسيوس، استشهدوا **سنة ٩٦م**، في عهد دوميتيانوس.

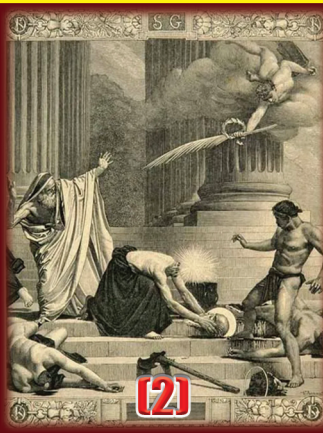
وقد خلف ديونيسيوس هذا على كرسي أثينا، إمّا في ذلك الوقت نفسه أو بعد سنوات قليلة، بوليوس أسقف أثينا، الذي يُعتد له في الثالث عشر من آذار.

أما سيرة استشهاد ديونيسيوس فقد دونها سمعان المترجم، ومطلعها: «قدّمًا في الرموز...» (Πάλαι μὲν ἐν τύποις). وهي محفوظة في **دير اللافرا الكبير، ودير الإشيرون، في جبل آثوس**، وفي مواضع أخرى.

(٣) يُعتد لهذا القديس كاريوس في السادس والعشرين من أيار. وانظر سنكساره هناك.

(٤) لاحظ أنه في القرن العاشر، أرسل شارل البسيط، ملك فرنسا، عن طريق وصية، أي ميراث، إلى هنري الصياد، ذخيرة يد القديس ديونيسيوس الأيوباعي المقدسة، وكانت هذه الذخيرة مزينة بالذهب والحجارة الكريمة، عربونًا للوفاء الدائم وللمحبة المتبادلة بحسب الله. فتلقّى هنري العطية الإلهية بفرح وامتنان عظيمين، وسجد وقبّل الذخيرة المقدسة، وأكرمها بغاية الورع. وكانت هذه الذخيرة عزاءً عظيمًا للسكان في فرنسا.

ولهذا يذكر أحد السفراء في زمن هنري المذكور، متحسّرًا، أنه منذ أن نقل جسد القديس ديونيسيوس من فرنسا، حلّت بها شرور كثيرة، بسبب الحروب الأهلية والحروب مع الأجانب. (انظر الصفحة ٣٦٢ من المجلد الثاني للميتيوس). أما هامة هذا القديس الفائزة نعمة، فهي محفوظة في **دير دوخاريو المقدس والملوكي في جبل آثوس**، وقد قدّمت إليه بموجب مرسوم إمبراطوري ذهبي من الإمبراطور الراحل الذكر ألكسيوس كومنينوس.





الحاجة ليست عارًا...

حين تصبح المساعدة

حفظاً لكرامة الإنسان

ادعم
بصمت

أعط
بمحبة

كن سبباً
لأمل جديد

شذرات روحية من جبل آثوس المقدس

الحاجة ليست عارًا

لا تُذِلْ مَنْ يحمل أصلاً ثقلاً على كتفيه

لا تجعل إنساناً يخجل يوماً من ضيقته.

أنت لا تعرف لماذا يرتدي الثياب نفسها لليوم الثالث. ولا تعرف لماذا يقف أمام صندوق الدفع ويعدّ القطع النقدية، واحدةً واحدةً، في راحة يده. لماذا يرفض الخروج، ولماذا لا يستطيع أن يدعوك إلى فئجان قهوة، ولماذا يقول بصوت خافت: «لا أستطيع»، ثم يغيّر الحديث.

فقد يخبئ وراء عبارة «لا أستطيع» جهاداً كامل لم تره يوماً.

فاتورة بقيت بلا سداد. بيت يكافح لكي يصمد. أب يحرم نفسه من أجل أولاده. أم تبتسم لكيلا يظهر قلقها. إنسان خسِر الكثير، لكنه لا يزال يجاهد لكيلا يخسر كرامته أيضاً.

ولعلّ الأصعب من كل شيء ليس الحاجة نفسها.

بل ربما تلك اللحظة التي يضطر فيها إلى أن يخفض عينيه ويهمس: «أنا بحاجة إلى مساعدة».

هنا تظهر حقيقة قلوبنا.

فالكاتب المقدس لا يدعونا إلى مجرد مشاهدة ألم الآخر، بل يدعونا، بقدر استطاعتنا، إلى أن نحمل معه ثقله:

«اِحْمَلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ، وَهَكَذَا تَمْتَمُوا نَامُوسَ الْمَسِيحِ.»

(غلاطية ٦: ٢)

أن يحمل الواحد منا ثقل الآخر.

لا أن نفحصه. ولا أن نذيع أمره. ولا أن نسأل بفضول كيف وصل إلى هذه الحال. ولا أن نعطيه بيد، ثم نسلبه كرامته باليد الأخرى.

الصدقة الحقيقية تعرف الرّفق.

إن استطعت أن تساعد، فساعد بصمت.

وإن استطعت أن تقدّم، فقدّم بطريقة تجعل الآخر يغادر من عندك لا أصغر شأنًا، بل **أكثر قدرةً على الوقوف مرفوع الرأس**.

وإن لم تستطع أن تقدّم شيئاً مادياً، فقدّم على الأقل الاحترام. كلمة طيبة. مكاناً على المائدة. نظرة لا تجعله يشعر بأنه أقل من غيره.

لأن الفقر ليس عارًا.

والضيقة ليست عارًا.

والحاجة لا تنتقص من قيمة أحد.

العار هو أن تلتقي إنساناً قد أركعته الحياة،

وبدلاً من أن تمدّ إليه يدك، تجعله ينحني أكثر.

لا أحد منا يعرف أيّ باب قد تطرقه التجربة غداً.

اليوم قد تكون أنت الذي يعطي.

وغداً قد تكون أنت الذي يحتاج إلى أن يأخذ.

لذلك لا تتكبر قائلاً: «أنا نجحت وحدي».

قليلون هم الذين وقفوا حقاً وحدهم.

ففي مكان ما من الطريق كانت هناك يد، أو صلاة، أو طبق طعام، أو فرصة ثانية، أو إنسان لم يتخلّ عنهم حين ابتعد الجميع.

ولعلّ هذه أجمل سلسلة محبة يمكن للإنسان أن يتركها وراءه:

«ذات يوم، ساعدني إنسان على النهوض. واليوم، ما دمت

قادرًا على الوقوف، سأُنحني أنا أيضاً لأُنهض إنساناً آخر».

لأنه **أمام الله**، لا يكبر الإنسان بما يملك أكثر.

بل **يكبر ذاك الذي**، حين كان لديه ما يعطيه، حرص ألا يفقد

أخوه كرامته.

خلفية تاريخية ولاهوتية تدعم وتفسّر هذا الإعلان الصارم للقديس مرقس الأفسسي في سياق رفضه التاريخي لمجمع فيرارا - فلورنسا:

إضاءة تاريخية ولاهوتية:

موقف القديس مرقس ورفضه مجمع فلورنسا (1438-1439م)

1) السياق السياسي والضغط على الوفد الرّومي البيزنطي: جاء انعقاد مجمع فلورنسا في ظلّ ظروف سياسيّة وعسكريّة حرجة جدًّا عاشتها الإمبراطوريّة الرّوميّة البيزنطيّة؛ إذ كانت القسطنطينيّة محاصرة ومهددة بالسقوط الوشيك على يد العثمانيين.

سعى الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثامن باليولوجوس إلى عقد «اتحاد كنسي» مع روما بأيّ ثمن، كشرط وضعه الغرب والبابويّة لتقديم نجدة عسكريّة وحملة صليبيّة لإنقاذ العاصمة الرّوميّة البيزنطيّة القسطنطينيّة.

خضع معظم الأساقفة واللاهوتيين البيزنطيين الرّوم لضغوط الإمبراطور السياسيّة وإغراءات وضغوطات البابويّة، ووقّعوا في نهاية المطاف على وثيقة الاتحاد الشهيرة (Laetentur Caeli عام 1439م).

Laetentur Caeli (أو Laetentur Coeli) لِيَتَنَتُورَ شَيْلِي (أو لِيَتَنَتُورَ تَشِيلِي): هي عبارة لاتينية تعني باللغة العربية: «لِتَفْرَحِ السَّمَاوَاتُ». وهي مأخوذة من المزمور 95:11 في العهد القديم («لِتَفْرَحِ السَّمَاوَاتُ وَلِتَبْتَهِجِ الْأَرْضُ»).

سياقها وتفسيرها التاريخي: مرسوم الاتحاد البابوي (1439م): هي الكلمات الافتتاحية للمرسوم البابوي الشهير (Papal Bull) الذي أصدره البابا إيچينيوس الرابع في 6 تموز/يوليو 1439م في ختام مجمع فلورنسا.

الهدف من الوثيقة: أعلنت هذه الوثيقة احتفاءً بما اعتُبر حينها «إعادة الوحدة وإنهاء الانشقاق العظيم» بين الكنيستين الغربيّة (الكاثوليكية) والشرقيّة (الأرثوذكسية).

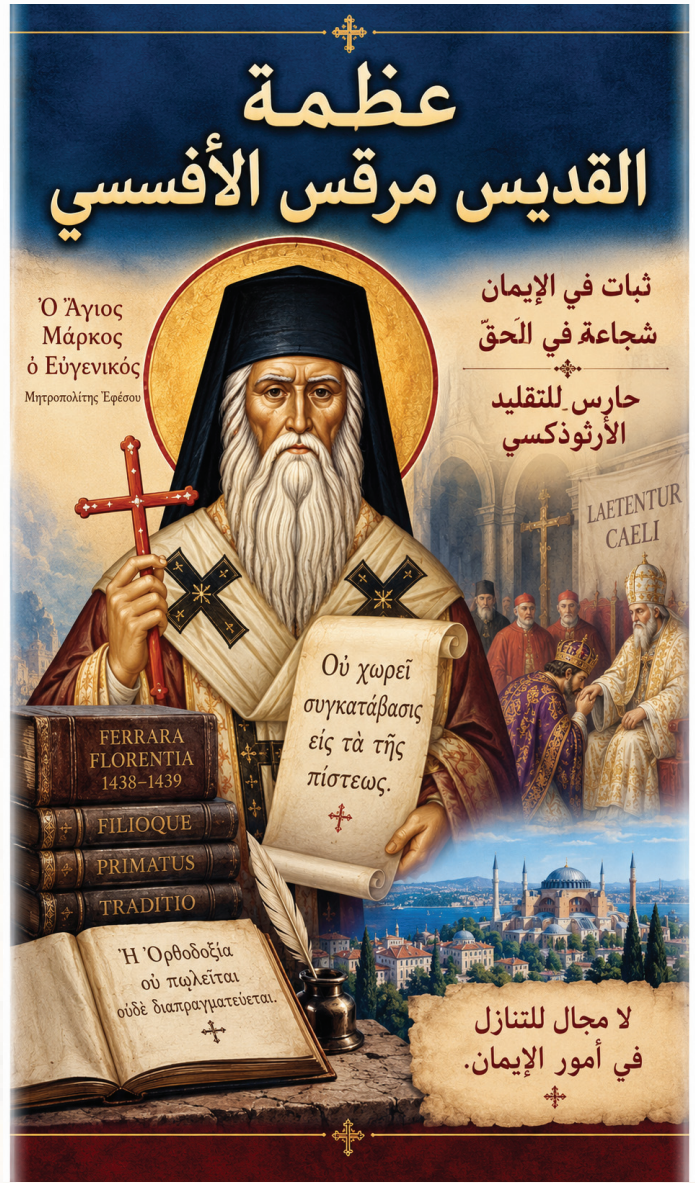
مضمونها: تضمنت الوثيقة قبول الجانب البيزنطي للشروط اللاهوتية اللاتينية (مثل انبثاق الروح القدس «والابن»، والمطهر، وأسبقيّة وسلطة البابا القضائيّة)، وهي الوثيقة نفسها التي وقّع عليها أغلب الممثلين البيزنطيين تحت ضغوط سياسيّة، ورفض القديس مرقس الأفسسي التوقيع عليها تمامًا.

2) الموقف الاستثنائي للقديس مرقس:

كان القديس مرقس، مطران أفسس، هو الأسقف الوحيد الذي صمد ورفض رفضاً قاطعاً التوقيع على وثيقة الاتحاد، مؤكّداً أنّ الإيمان لا يمكن مقايضته بالجيوش أو التحالفات الدنيوية الزائلة.

يُروى تاريخيًا أنّه حين تصفّح بابا روما (Eugenius IV) إيچينيوس الرابع وثيقة الاتحاد الموقّعة وسأل عن توقيع مطران أفسس، فأخبر بأنه لم يوقع، قال كلمته الشهيرة: «إذن، لم نُنجز شيئاً!».

(Markus non subscripsit? Nihil ergo actum est).



«Ἐμεῖς δι' οὐδέν ἄλλο ἀπεσχίσθημεν τῶν Λατίνων, ἀλλὰ διότι εἶναι ὄχι μόνον Σχισματικοί, ἀλλά καὶ Αἰρετικοί. Διὰ τοῦτο σᾶς παρακαλῶ ἀποφεύγετε τοὺς Παπικούς ὅπως φεύγει κάποιος ἀπὸ φιδιοῦ καὶ ἀπὸ προσώπου πυρός, ἀλλὰ καὶ τοὺς «Ὁ ρηθοδόξους» πού σχετίζονται μέ Παπικούς. Ὅσο πῖο μακρὰ φεύγει κανεῖς ἀπ' αὐτοὺς τοὺς «Ὁ ρηθοδόξους», τόσο πῖο κοντά ἔρχεται εἰς τοὺς Ἀγίους Πατέρες. Ἐνῶ ὅσο πῖο κοντά τους ἔρχεται, τόσο πῖο πολὺ ἀπομακρύνεται ἀπὸ τοὺς Ἀγίους μας. Δέν χωρεῖ καμμία συγκατάβασις σέ ὅ,τι ἔχει σχέση μέ τήν Ὁρθόδοξη Πίστη μας».

الترجمة إلى اللغة العربية:

«نحن لم ننفصل عن اللاتين لسبب آخر، إلّا لأنهم ليسوا منشقين فحسب، بل مبتدعون (هراطقة) أيضاً. لهذا السبب أرجوكم أن تتجنبوا البابويين كما يفرّ المرء من وجه الحيّة ومن وجه النار، وكذلك تجنبوا أولئك «الأرثوذكس» الذين يوالون البابويين ويختلطون بهم. فكّلما ابتعد المرء عن هؤلاء «الأرثوذكس»، كلّما اقترب أكثر من الآباء القديسين. بينما كلّما اقترب منهم، ابتعد أكثر عن قديسينا. لا مجال لأيّ تنازل أو مساومة في كلّ ما يتعلّق بإيماننا الأرثوذكسي».

3. المرتكزات اللاهوتية لرفضه:

انطلق القديس مرقس في إعلانه من عدة مسائل لاهوتية جوهرية اعتبرها خروجًا عن تقليد الآباء والمجامع المسكونية الأولى:

قضية انبثاق الروح القدس (الفيلوكوي – Filioque):

رفض القديس مرقس الأفسسي إضافة عبارة «والابن» إلى قانون الإيمان، ورأى في التعليم اللاتيني حول انبثاق الروح القدس من الآب والابن كانبثاق من مبدئين أو علتين أساسًا بالثالث الأقدس وخروجًا عن قرارات المجامع المسكونية، ولهذا وصفه بـ «الهرطقة» وليس مجرد انشقاق إداري.

أولية وسلطة البابا المطلقة:

رفض ادعاء روما بالسيادة القضائية المطلقة فوق سائر البطريركيات والمجامع المسكونية.

عقيدة المطهر والخبز الفطير في الإفخارستيا: اعتبرها ممارسات ومفاهيم مستحدثة تتعارض مع التسليم الرسولي والآبائي.

4. ما بعد المجمع والرسالة الدورية:

بعد عودة الوفد إلى القسطنطينية، لاقت وثيقة فلورنسا رفضًا شعبيًا وورهبانيًا عارمًا، واعتُبر مرقس الأفسسي بطلاً وحاميًا للإيمان الأرثوذكسي (عمود الأرثوذكسية).

كتب القديس رسالته الدورية الشهيرة إلى عموم المؤمنين في الشرق والجزر، والتي وردت فيها هذه التحذيرات المشددة؛ حيث أراد تحصين المؤمنين من الرضوخ لقرارات المجمع أو الانخداع بالاتحاد الشكلي، مبينًا أن مسايرة أو موالة من يقبل بهذا التنازل العقائدي (الموالين للآتين) تؤدي تدريجيًا إلى الانسلاخ عن إيمان الآباء.

لخص القديس مرقس موقفه بمبدأه المشهور:

«لا مجال لأي مساومة أو تنازل في أمور الإيمان»

(Οὐ χωρεῖ συγκατάβασις εἰς τὰ τῆς πίστεως).

«تزول التيجان وتتبدل الممالك والتحالفات الدنيوية، ويبقى الثبات على نقاوة الإيمان الرسولي هو المجد الحقيقي والشاهد الخالد عبر الأجيال.»

المصدر:

<https://katanixi.gr/katanyktikoi-logoi-agion-pateron-8>



الجزرية والشمول ضد المسيح الإله-الإنسان وضد كنيسته، كما فعلت البابوية بواسطة عقيدة عصمة البابا-الإنسان من الخطأ. لا مجال للشك: إن هذه العقيدة هي هرطقة الهرطقات، وتمردٌ غير مسبوق ضد المسيح الإله-الإنسان.»

القديس يوستينوس بوبوفيتش

العبارة اليونانية Πάπα-άνθρωπου مقصودة في النص لتكوين مقابلة لاهوتية شديدة القوة بين:

Θεάνθρωπος Χριστός = المسيح الإله - الإنسان

و Πάπας-άνθρωπος = البابا-الإنسان. لأن هذه المقابلة هي قلب الحجة اللاهوتية في القول.

المصدر:

<https://katanixi.gr/katanyktikoi-logoi-agion-pateron-10/>

ولهذا بالذات، لا يريد الشرير أن يتعلّم الإنسان فنّ السهر الروحي؛ لأنه عندما يبدأ الذهن بحراسة القلب، ويبدأ القلب باستدعاء اسم الربّ القدير، عندئذٍ لا يعود الفكر يمرّ دون أن يُلاحَظ.

«فَوْقَ كُلِّ حَقِّقْ حَقِّقْ قَلْبِكَ، لَأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجُ الْحَيَاةِ.» (أم ٤: ٢٣).

ليس كل فكر هو فكرنا. وليس كل خاطر حقيقة. ولا ينبغي أن نقبل كل حركة داخلية، وندخل معها في حوار، ثم نسمح لها في النهاية بأن تتجذّر في داخلنا.

إنّ التقليد النُسكي في الكنيسة يعلمنا أولاً أن نُميّز، ثم أن نقاوم، وفوق كل شيء أن نوجّه الذهن فوراً نحو المسيح: «يا رب يسوع المسيح، يا ابن الله، ارحمني.»

كلمات قليلة، لكنها تحمل في داخلها اعتراف الإيمان كله، وابتهالاً إلى المخلص، وصرخة إنسان يعرف أنّه لا يستطيع وحده أن ينتصر في الحرب غير المنظورة.

«صَلُّوا بِلَا انْقِطَاعٍ.» (١ تسالونيكي ٥: ١٧).

إن الصلاة القلبية ليست تقنية سحرية، ولا مجرد تركيز نفسي. إنها عمل توبة واتضاع ونعمة، داخل حياة الكنيسة؛ وبصورة خاصة، عندما يدخل الإنسان بعمق أكبر في عمل الصلاة الذهنية، يحتاج إلى التمييز والإرشاد الروحي. لا تُطارِد الأحاسيس. لا نطلب الرؤى. لا نفقش عن «اختبارات روحية».

نحن نطلب المسيح. وعندما يأتي الفكر، لا نجلس لتتحوّل معه.

نعود إلى الصلاة. نعود إلى التوبة. نعود إلى الاسم الذي ترتعد أمامه كل قوة العدو: «قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا الله، وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِيَّ أَحْشَائِي.» (مز ٥٠: ١٢).

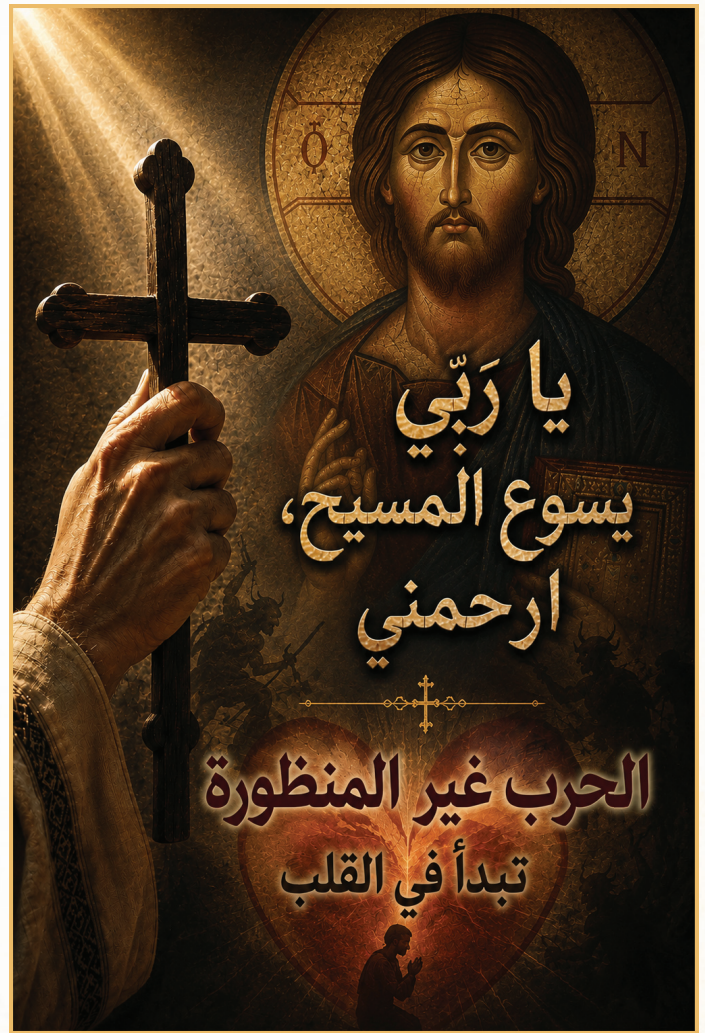
لم يكشف القديس نيقوديموس هذه الحيلة الشيطانية لكي يخاف الإنسان.

بل كشفها لكي يتعلّم كيف يحارب: بالسهر الروحي. بالتوبة. بالاتضاع. بذكر الله. وباسم يسوع المسيح العذب والقدير.

احفظ قلبك. ففيه تُحسم، في كثير من الأحيان، المعركة بأكملها. وأبقى المسيح حاضراً في ذاكرتك، قبل أن يتمكن الفكر من أن يتحوّل إلى هوى.

المصدر: القديس نيقوديموس الآثوسي؛ إشارة إلى القديس دياذوخوس الفوتيكي، الفصل الثالث والثلاثون، الفيلوكاليا.

وأنت، عندما يأتيك الفكر، هل تدخل معه في حوار، أم تلجأ أولاً إلى الصلاة؟



شفرات روحية من جبل آثوس المقدس

الحرب غير المنظورة تبدأ في القلب

لا تبحث دائماً عن العدو خارجك. فأدقّ الحروب تجري هناك، حيث تولد أفكارك وتُختبَر وتُدان.

يكشف لنا القديس نيقوديموس الآثوسي، مستشهداً بالقديس دياذوخوس الفوتيكي، إحدى أدقّ حيل الشرير: أن يجهل الإنسان أين تجري حقاً معركة الروحانية.

يريد العدو من الإنسان أن يظلّ ناظرًا إلى ما هو خارج عنه؛ فيُلَوِّم الأشخاصَ والظُرُوفَ والأحداثَ، ويبحث عن سبب الحرب في كل مكان، إلّا في الموضع الذي يحتاج، قبل كل شيء، إلى السهر والحراسة: القلب.

يعلم القديس دياذوخوس الفوتيكي أنّ نعمة الله تسكن في أعماق النفس، بينما الأرواح الشريرة تجول حول أعضاء القلب، وتحاول، بواسطة الأفكار والأهواء والتخيّلات، أن تصرف الذهن عن ذكر الله.

من أقوال القديسين والشيوخ:

«يا إخواني، ما إن تسمعوا قرع جرس الكنيسة أو الناقوس، سواء أكان وقت السحر أم القداس الإلهي أم الغروب، فأسرعوا واذهبوا إلى الكنيسة، كما يذهب



الأطفال إلى أمهم، وكما يذهب الناس إلى بيتهم الروحي، وكما يلجأ الذين تصارعهم أمواج البحر إلى الميناء. اذهبوا إلى الكنيسة جائعين وعطاشاً، لكي تشتركوا في المائدة الروحية، مائدة الأسرار الإلهية وكلمة الله.»

القديس نيقوديموس الآثوسي.

الطفل يدرك ويفهم أكثر بكثير مما نتخيل؛ فهو يرى الأب يوصيه قائلاً: «عليك بالذهاب إلى الكنيسة»، في حين أن الأب نفسه لا يذهب. ويرى الأم تحدّثه عن التسامح، وهي عاجزة عن أن تغفر وتسكت غضبها. يسمع كلاماً عن المسيح يوم الأحد، وإذا وجد داخل البيت غضباً، ونقمة، وإهانات، ونفاقاً، فسيأتي اليوم الذي يتساءل فيه: «إن كان هذا هو الإيمان، فلماذا أتبعه؟»

لا يبتعد الأبناء عن الكنيسة دائماً لأننا لم نحدثهم بما فيه الكفاية عن المسيح، بل يبتعدون أحياناً لأننا أطلنا الكلام عنه، لكننا أظهرنا القليل جداً منه في حياتنا وسلوكنا. وهنا تكمن مسؤوليتنا العظمى. فالرسول بولس لا يدعو الآباء لمجرد تلقين أبنائهم المعارف، بل يحثهم قائلاً: «رَبُّوهُمْ فِي تَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ» (أفسس ٦: ٤).

كما يُشدّد القديس يوحنا الذهبي الفم بحزم يهز القلوب على ضرورة رعاية نفس الطفل؛ فلا يكفي أن نُؤمن له الأموال، والتَّعليم، والمكانة الاجتماعية المرموقة، إذ إنَّ أَمْرَ مَا ائْتَمَنَّا اللَّهُ عَلَيْهِ هُوَ خَلَاصُ نَفْسِهِ.

أيُّها الآباء والأمهات، لا تكتفوا بإرسال أولادكم إلى المسيح... بل امضوا معهم. لا تقتصروا على إخبارهم بأن يرسُموا إشارة الصليب... بل ارسموها أنتم أيضاً. لا تأمرهم فقط بالصلاة؛ بل اركعوا إلى جوارهم. لا تشيروا لهم نحو باب الكنيسة من بعيد؛ بل اعبروا عتبة معاً يدًا بيد.

وَحِينَ يَشْتَدُّ غُودُهُمْ وَيَكْبُرُونَ، إياكم أن تحاولوا إبقاءهم بالقرب من الله بدافع الخوف والإكراه؛ فالإيمان لا يُورَث بالقسر والقهر، بل يُنْقَل بالحق، والمحبة، والقُدوة الصالحة، والصلاة، والحرية.

لعلها تأتي حينئذ تلك اللحظة المباركة: أن يتقدّم الطفل لِسِرِّ الشُّكْرِ، ثم يلتفت نحو أبيه ويسأله براءة: «أبي، لماذا لا تأتي معي؟ ألم يأت المسيح من أجلك أنت أيضاً؟»، وحينها، ومن فم طفل بريء، يتردّد صدى دعوة صادرة من فَمِ الله ذاته.

لا ترجُ فقط أن ترى ولدك سامياً في أعين أهل العالم، بل اطلب أن تراه قريباً من المسيح. لا تسعَ فقط وراء نجاحات تُعلّق كشهادات على الجدران، بل اطلب له قلباً يعرف كيف يتوب، ويحب، ويسامح، وبصلي.

فالألقاب ستبقى هنا، والأوسمة ستبقى هنا، والأموال ستُتْرَك هنا، أما النفس فمخلوقة للأبدية. وعوضاً عن أن تُلقَى اللوم على أولادنا الذين ضلُّوا وابتعدوا، فلنُحْنِ رُكْبَنَا أمام الله، ونسجد متضرّعين من أجلهم.

وقبل أن نتساءل بحسرة: «لماذا لم يعد طفلي راغباً في الكنيسة؟»؛ فلنُتَجَرَّ أولاً على مساءلة ضمائرنا: «أي صورة للمسيح رآها طفلي من خلالي؟»؛ ليصر بيتنا كنيسة صغيرة، ولتغدُ مائدتنا موضع شكر وحمد، وليكن التسامح ممارسة حيّة كل يوم، ولتقلّب الصلاة إلى أنفاس نحيّا بها. ولنلتمس من الرَّبِّ يسوع وأمه العذراء مريم أن يحفظا لا أولادنا فحسب، بل جميع أبناء العالم أجمع. فلنركع من أجلهم، لكي تتحوّل لوعتنا إلى صلاة، وصلاتنا إلى توبة، وتوبتنا إلى دربٍ للرجوع والعودة. فأعظم ميراث يمكن أن يتركه والدٌ لابنه ليس رصييداً بنكيّاً عامراً ولا اسماً مرموقاً، بل هو أن يكون قد أراه بحياته وسلوكه الطريق المؤدي إلى المسيح.

«وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْآبَاء... رَبُّوهُمْ فِي تَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ» (أف ٦: ٤)



الطفل يتناول وأنت؟

شفرات روحية من جبل آثوس المقدس

التناول المقدس: الطفل يتقدّم للتناول. وأنت، أيها الأب وأيتها الأم، أين تقفان؟ هناك مشهدٌ يتكرر داخل الكنيسة يعتمر القلب ألماً. الطفل يقترب من الكأس المقدسة، ليتناول جسد المسيح ودمه الأقدسين، بينما يقف الأب والأم على بُعد خطوات قليلة إلى الخلف، مكتوفي الأيدي بلا حراك. الطفل يدنو من نبع الحياة، والوالدان يقيان بعيدين. وهنا ينبثق سؤال لا ينبع من الإدانة بل من حرقة القلب: كيف سيتعلم الطفل محبة المسيح إن لم يَرْنَا نحن أولاً نَحْبُهُ؟ إنها لحسرةٌ بالغة في قلب الكاهن أن يحمل الرضيع بين ذراعيه وقت المعمودية المقدسة، يغطسه باسم الآب والابن والروح القدس، بمسحه بالميرون المقدس، يناوله من الأسرار، ويسلمه مستنيراً إلى أحضان والديه، ثم بعد ذلك... لا يعود يراه في الكنيسة قط.

نحن لا نُعمّد الطفل لمجرد أن يكتسب اسماً، فالمعمودية ليست مجرد تقليد أو عرف عائلي، بل هي ميلادٌ لولادة جديدة وحياة جديدة.

وهذه الحياة تحتاج إلى رعاية واستمرار؛ تحتاج إلى صلاة، وإلى حضور القداس الإلهي، وتوبة، واعتراف، وتناول من القربان المقدس باستعداد لائق وإرشاد من الكنيسة. لكنها تحتاج قبل كل شيء إلى بيتٍ يرى فيه الطفل أنَّ المسيح لا يسكن فقط في زاوية الأيقونات، بل يتجلى في أفعال وسلوك أبيه وأمه.

إنَّنا نمنح أطفالنا تعلُّم اللغات، والموسيقى، والرياضة، والدراسة الأكاديمية والشهادات العليا، وهذا أمر حسن ومحمود. ولكن إن هبناهم العالم بأسره ولم ندلِّهم على الطريق إلى المسيح، فما الذي تركناه لهم حقاً؟ نحرص أشد الحرص ألا تفوتهم حصّة دراسية، أو تمرين رياضي، أو درس لغة أجنبية، فليحزن قلبنا إذا حين يبدؤون في إهمال الصلاة، والتغيب عن قداس الأحد، وفقدان الصلة بالأب الروحي (مرشد الاعتراف)، وانطفاء الشوق إلى الكأس المقدسة.



عَقِيدَةُ «الْحَبَلِ بِلا دَنْسٍ» بَيْنَ إِيْمَانِ الْكَنِيسَةِ الْأَرْثُوذُكْسِيَّةِ وَتَعْلِيمِ بابَا رُومَا

بطريركية الروم الأرثوذكس
أورشليم



الإيمان الأرثوذكسي القويم



وَلَادَةُ طَبِيعِيَّةٍ:

حُبَلُ بِهَا مِنْ زَرْعٍ بَشَرِي
وَاشْتَرَكَتْ فِي طَبِيعَتِنَا السَّاقِطَةِ.



قَدَاسَةٌ بِالْحَيَّاهِ وَالنِّعْمَةِ:

حَفِظَتْ طَهَارَتَهَا بِإِرَادَتِهَا الْحَرَّةِ،
وَتَقَدَّسَتْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ
فِي الْبَشَرَةِ.



حِمَايَةُ حَقِيقَةِ الْفِدَاءِ:

الْمَسِيحُ اتَّخَذَ طَبِيعَتَنَا الْبَشَرِيَّةَ
لِيَفْتَدِيَهَا.
«مَا لَمْ يَتَّخِذْ لَا يُشْفَى».

مَا لَمْ يَتَّخِذْ لَا يُشْفَى: الْقُدَيْسُ غِرِيغُورِيُوسُ الْلاهُوتِي

تَعْلِيمُ بابَا رُومَا (1854)



اسْتِثْنَاءٌ مِنَ السَّقُوطِ:

حُبَلُ بِهَا مُعَفَّاةٌ مِنَ الْخَطِيئَةِ
الْجَدِيدَةِ مِنْذُ اللَّحْظَةِ الْأُولَى.



قَدَاسَةٌ بِإِمْتِيَازٍ مُسَبِّقٍ:

عُزِلَتْ عَنْ طَبِيعَتِنَا الْبَشَرِيَّةِ
السَّاقِطَةِ اسْتِثْنَاءً لَصَلْبِ
الْمَسِيحِ.



عَقِيدَةُ مُسْتَحْدَثَةٍ:

أَعْلَنَاهَا الْبَابَا بِيُوسُ التَّاسِعُ
مَنْفَرَدًا عَامَ 1854.



تَرْفُضُهَا الْكَنِيسَةُ الْأَرْثُوذُكْسِيَّةُ
كَابْتِدَاعٍ غَرِيبٍ عَنِ التَّسْلِيمِ الْآبَائِيِّ.

الْمَسِيحُ وَحْدَهُ حُبَلُ بِهِ بِلا زَرْعٍ

(من الروح القدس – ἁσπορος σὺλληψις)



«الْحَبَلُ بِلا زَرْعٍ» (لِلْمَسِيحِ وَحْدَهُ) ≠ «الْحَبَلُ بِلا دَنْسٍ» (بِدَعَةِ مُسْتَحْدَثَةٍ).

«اثْبُتُوا إِذَا وَتَمَسَّكُوا بِالتَّعَالِيمِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا» (2 تَس 2: 15)



تعليم بابا روما

بشأن «الحبل بلا دنس» بوالدة الإله

بقلم: الأب المتقدم في الكهنة

(البروتوبريسبترس ثيودوروس زيسيس (1))

المصدر: جريدة «أورثوذكسوس تيبوس»، 2 نيسان 2010

1) الهرطقة البابوية والموقف الأرثوذكسي

من بين العقائد المستحدثة والهرطوقية في البابوية (2)، يندرج أيضاً التعليم بشأن «الحبل بلا دنس» (3) بوالدة الإله. وبحسب هذا التعليم، كانت **والدة الإله** منزّهة، لا عن الخطايا الشخصية فحسب، بل أيضاً عن الخطيئة الجدّة نفسها (4)، التي تنتقل بالولادة الطبيعية إلى جميع البشر...

أي إنّ **والديها، يواكيم وحنة**، حبلا بما «بلا دنس» (5)، من دون أن تنتقل إليها الخطيئة الجدّة. وقد ظلّ هذا التعليم الهرطوقي، على مدى قرون، مرفوضاً حتى من كبار اللاهوتيين البابويين، ومنهم، على سبيل المثال، **توما الأكويني**؛ لأنه، فضلاً عن افتقاره إلى أي سند في الكتاب المقدس والتقليد الآبائي، يمسّ **بفرادة ولادة ربنا يسوع المسيح الفائقة للطبيعة** (6).

فالمسيح وحده وُلد بلا دنس، وقطع سلسلة انتقال الخطيئة الجدّة المتعاقبة بواسطة الولادة الطبيعية؛ لأن الحبل به لم يكن طبيعياً، بل فائقاً للطبيعة. فلم يُحبل به من مشيئة رجل، ولا من اقتران رجل بامرأة،

بل حبل به **بلا زرع** (7)، «من الرُّوح القدس ومن مريم العذراء». وكانت **والدة الإله الفائقة القداسة** (8) «لم تعرف رجلاً» (9)، و«لم تختبر الزواج» (10)، أي لم تكن لها خبرة برجل ولا بزواج؛ وكانت أيضاً «عذراء بلا رجل» (11). أما يوسف الخطيب، فلم يكن سوى حامٍ وكفيل لها. ولذلك، عندما تبين أنها حبلى، وكان لا يزال يجهل الحبل العجيب **من الرُّوح القدس**، فكّر في أن يخلّي سبيلها: «أَرَادَ تَحْلِيَّتَهَا سِرّاً». (متى 1: 18-19).

لقد ولدت **والدة الإله** بطريقة عجيبة وهي عذراء، وظلت بعد الولادة أيضاً عذراء؛ فهي مثَلثة البتولية ودائمة البتولية (12): قبل الولادة، وفي الولادة، وبعد الولادة (13).

أمّا **الحبل بوالدة الإله الفائقة القداسة وولادتها**، فلم يكونا على هذا النحو. صحيح أنها وُلدت بمعجزة من والدين عاقرين وطاعين في السن، هما **يواكيم وحنة**، إلّا أنّ كل ما عدا ذلك كان طبيعياً: فقد كان هناك اقتران رجل بامرأة، وزواج، وزرع (14). ولم تكن **الجدّة الإلهية حنة** (15) ممن لم يعرف رجلاً، ولا ممن لم يختبر الزواج، ولم تكن **بلا زوج ولا عذراء**؛ بل كان لها زوج هو **يواكيم**. ولم يكن **الحبل بوالدة الإله الفائقة القداسة بلا زرع**، بل من زرع أبيها يواكيم، كما هي الحال لدى سائر البشر. ولذلك انتقلت إليها أيضاً الخطيئة الجدّة.

إنّ **الحبل الوحيد الطاهر (بلا دنس)** والفائق للطبيعة هو **الحبل بالإله-الإنسان المسيح من الرُّوح القدس**، بلا زرع، وولادته من **مريم العذراء**. فهو وحده الذي **بلا خطيئة من جميع الوجوه؛ الكامل والمطلق في عدم الخطيئة** (16). أمّا **والدة الإله الفائقة القداسة** فهي بلا خطيئة على نحو نسبي (17)، لكونها مشتركة في الخطيئة الجدّة.

ومع ذلك، وأمام هذا التعليم الكنسي الواضح، الذي أيدته أيضاً كثير من اللاهوتيين البابويين، لم يتردد البابا بيوس التاسع، بل استحدث، بصورة تعسفية واستعلائية مبتدعة (18)، تعليم «الحبل بلا دنس»، ورفع به إلى مرتبة العقيدة سنة 1854، مضيفاً بذلك هرطقة أخرى إلى هرطقات البابوية الكثيرة.

ويرى كثير من الباحثين المتخصصين أن هذا الإجراء كان يهدف للهرطقة والضلالة الفظيعة الأخرى في البابوية، أي «عصمة البابا» (19)، التي أقرها المجمع الفاتيكاني الأول عقيدة بعد مدة قصيرة سنة 1870. أي إن الفاتيكاني أراد أن يظهر أن البابا لا يتقيد لا بالكتاب المقدس ولا بالتقليد الآبائي، وأنه يستطيع أن يعلن عقائد حتى بما يخالفهما، لأنه «معصوم».

(2) طروبارية عيد الرقاد لا تعلم «الحبل بلا دنس»

لقد عرضنا ببساطة وإيجاز التعليم المتعلق بهذا الموضوع: تعليم البابوية الهرطوقي، وتعليم الكنيسة الأرثوذكسي؛ ويمكن للمرء أن يجد عنهما تفاصيل أكثر بكثير في المراجع العقائدية للاهوتيين الأرثوذكس وفي الدراسات المتخصصة.

وقد دفعتنا إلى هذه المعالجة الموجزة والرعايائية للموضوع ملاحظة نشرتها جريدة «أورثوذكسوس تيبوس» في العدد 1819، الصادر في 12 شباط 2010، ضمن زاوية «أحداث وتعليقات»، تحت عنوان: «حبل "بلا دنس" وحبل "بلا زرع"» (20).

وكانت مناسبة هذه الملاحظة سؤالاً طرحه أحد القراء: هل نكون مخطئين في رفضنا للعقيدة البابوية بشأن «الحبل بلا دنس» بوالدة الإله، ما دام الكاثسما الثالث من سحر عيد الرقاد يتحدث عن ولادة اقترنت بحبل بلا زرع؟.

والواقع أن المرء، إن لم ينتبه جيداً إلى نص الطروبارية، قد يختار ويتساءل عن معناها.

وقد وُجّه السؤال نفسه إلى كاتب هذه السطور في الفترة ذاتها تقريباً، وربما من الشخص نفسه، الذي أراد، كما يبدو، أن يقارن الجواب بغيره ويتحقق منه ويتثبت من صحته، حتى لا يبقى مجال للشك أو التحفظ.

ومع ذلك، نسارع إلى القول إنه لو كانت هذه الطروبارية تعلم حقاً «الحبل بلا دنس»، لكان اللاهوتيون البابويون قد تنهّوا إليها منذ زمن، ولأغنوا بها ترسانتهم في مواجهة الذين يرفضون عقيدتهم الهرطوقية، وبخاصة ضدنا نحن الأرثوذكس، قائلين إننا لا ننتبه حتى إلى نصوص عبادتنا. وقد فعلوا ذلك، ولا سيما اللاهوتي البابوي المعروف م. جوجي (M. Jugie)، إذ استشهدوا بأباء قديسين، لكنهم شوّهوا نصوصهم وأساءوا تفسيرها.

أمّا الطروبارية التي نحن بصددّها، فعلى حدّ علمنا، لم يستشهدوا بها، وهذا يعني أنها لا تؤيد «الحبل بلا دنس». ولو كانت تؤيده، فمن شبه المؤكد أنهم كانوا قد استخدموها بالفعل.

فلننظر، إذًا، إلى ما تقوله الطروبارية وما هو معناها اللاهوتي:

كاثسما. اللحن الثالث: «لَمَّا رَأَى يَوْسُفُ حَسَنَ بَتُولَتِكَ» (21): «في ولادتِكَ حَبْلٌ بَلَا زَرْعٍ، وَفِي رِقَادِكَ مَوْتُ بَلَا فُسَادٍ؛ فَمَعْجَزَةٌ دَاخِلٌ مَعْجَزَةٌ مُضَاعَفَةٌ اجْتَمَعَتَا فِيكَ يَا وَالِدَةُ الْإِلَهِ (22). فَكَيْفَ لِلَّتِي لَمْ تَعْرِفْ رَجُلًا وَهِيَ طَاهِرَةٌ أَنْ تَرْضِعَ طِفْلًا؟ وَكَيْفَ لَوَالِدَةِ الْإِلَهِ أَنْ تَكُونَ مَسْجَاةً كَمِيْنَةً وَهِيَ تَفِيضُ طَيِّبًا؟ (23) لَذَلِكَ نَهْتَفِ نَحْوَكِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ: افْرَحِي، يَا مَمْتَلَنَةٌ نِعْمَةً».

تنشأ الإشكالية من العبارة الافتتاحية «في ولادتِكَ» (24)، وبصورة خاصة من ضمير الإضافة «لِكَ». غير أن هذه الإضافة، كما نتعلم من علم النحو، ليست إضافة فاعلية، بل إضافة مفعولية (25)؛ أي إنه لا ينبغي تفسير العبارة بمعنى: «عندما وُلِدَتِ»، بل بمعنى: «عندما وُلِدَتِ (أنتِ المسيح)».

فالمقصود هنا هو: «عند ولادتِكَ لابنِكَ»؛ أي عندما أنجبتِ ابنك، المسيح، وليس عندما وُلِدَتِ أنتِ من يواكيم وحنة.

ويتأكد هذا التفسير الذي لا لبس فيه من العبارة الوصفية التالية: «حَبْلٌ بَلَا زَرْعٍ» (26)، التي تشير بوضوح لا إلى ولادة والدة الإله من يواكيم وحنة حيث كان هناك زرع، بل إلى ولادة المسيح من والدة الإله، حيث كان الحبل بلا زرع بالرُّوحِ القُدُسِ. ولم يجرؤ أحدٌ حتى الآن، ولا حتى البابويون، على الادعاء بأن ولادة العذراء من والديها كانت بلا زرع.

وعليه، فإن عبارة: «في ولادتِكَ حَبْلٌ بَلَا زَرْعٍ» تُفسَّر: «عند ولادتِكَ لابنِكَ كان الحبل بك بلا زرع».

كما أن طروبارية عيد الأجداد القديسين (27)، في الأحد الثاني السابق لعيد الميلاد، تقول بوضوح إن العذراء وُلِدَتِ «من زرع» والديها، بينما هي نفسها وَلَدَتِ المسيح بلا زرع: «يفتخر القديسون في المجد، لأن من زرعهم ثمرة مجيدة، هي التي ولدتك بلا زرع» (28).

وكذلك يقال في قطعة المجد (الدوكصاستيكون) الثيوطوكية المعروفة في غروب اللحن الأول: «إِنَّ وَالِدَةَ الْإِلَهِ» «زُرِعَتْ مِنَ الْبَشَرِ»: «المجد المسكوني، المزروعة من البشر، والوالدة السيد» (29).

كما أن تممة كاثسما الرقاد تشير إلى ولادة المسيح، لا إلى ولادة والدة الإله. فبعد أن تتحدث عن المعجزة المزدوجة للحبل بلا زرع والموت بلا فساد، تعلق ذلك بأداة التفسير «لأنَّ»: «فكيف للتي لم تعرف رجلاً وهي طاهرة أن ترضع طفلاً؟»؛ أي: «كيف يمكن لك، أنتِ التي لم تعرفي رجلاً وأنتِ طاهرة، أن ترضعي طفلاً من لبنك؟». وبالتالي، لا يبقى أدنى شك في أن هذه الكاثسما لا علاقة لها مطلقاً بعقيدة «الحبل بلا دنس» لدى البابويين. إنها تشير إلى الحبل الوَحِيدِ الذي هو طاهر (بلا دنس) وبلا زرع، أي الحبل برينا يسوع المسيح، الذي ولدته والدة الإله بطريقة فائقة للطبيعة مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، مدشنةً بذلك أيضاً الولادة الروحية لجميع المؤمنين مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ في جرن المعمودية المقدسة.

الهامش التوثيقي والمعجم اللاهوتي:

(موجّه للبحث اللاهوتي، وإعداد العظات، والدراسات المقارنة)

(1) البروتوبريسبيتروس (Πρωτοπρεσβύτερος): رتبة كنسية تعني حرفياً "الأب المتقدم في الكهنة" (الأول بين الكهنة).

(2) العقائد المستحدثة والهرطوقية في البابوية (τῶν καινοφανῶν καινοφανής): (καὶ αἰρετικῶν δογμάτων τοῦ Παπισμοῦ) تعني «الظاهر حديثاً / المستحدث»، إشارة إلى رفض الأرثوذكسية لأي عقيدة لم يُجمع عليها التقليد الآبائي والمجامع المسكونية القديمة.

(3) الحبل بلا دنس (ἄσπιλος σύλληψις): تقابل في اللاتينية: Immaculata Conceptio؛ وكلمة ἄσπιλος تعني «المنزه عن الدنس / الذي لا شائبة فيه».

(4) الخطيئة الجدية (προπατορικὸν ἁμάρτημα): من προπάτωρ (الجد الأول / آدم). تُميز اللاهوتية الأرثوذكسية بين «الخطيئة الجدية» (وإثارة نتائج السقوط والموت وقابلية الفساد) وبين المفهوم الغربي الأوغسطيني لـ «الذنب الموروث».

(5) بلا دنس (ἄσπιλος): ظرف من الصفة ἄσπιλος.

(6) الولادة الفائقة للطبيعة (ὑπερφύσης Γέννησις): تتكون من ὑπέρ (فوق) و φύσις (طبيعة)؛ أي الولادة التي تعلو القوانين الطبيعية المألوفة.

(7) بلا زرع (ἀσπόρος): من حرف ألف النفي (-ἀ) و σπόρος (بذرة / نطفة / زرع بشري)؛ أي دون مساهمة عنصر الذكورة الطبيعي.

(8) الفائقة القداسة (Ἡ Ὑπεραγία): صفة ليتورجية تفوق Παναγία - كلّيّة القداسة، وتُطلق حصراً على والدة الإله.

(9) لم تعرف رجلاً (ἀπείρανδρος): من ἀ- (نفي) + πείρα (خبرة/دراية) + ἀνὴρ (رجل)؛ أي البتول التي ليس لها خبرة جسدية بالرجال.

(10) لم تختبر الزواج (ἀπειρόγαμος): من ἀ- (نفي) + πείρα + γάμος (زواج)؛ أي التي لم تدخل في سر الزواج قط.

(11) عذراء بلا رجل (ἄνανδρος): من ἀ- (نفي) + ἀνὴρ (رجل)؛ أي التي ليس في حياتها زوج أو شريك جسدي.

(12) مثلثة البتولية ودائمة البتولية:

(τριπάρθενος καὶ ἀειπάρθενος): τριπάρθενος تشير إلى بتوليتها في المحطات الثلاث: قبل الحبل، وأثناءه، وبعده. و ἀειπάρθενος تعني الدائمة البتولية على الدوام (ἀεί = دائماً).

(13) قبل، وفي، وبعد الولادة:

(πρὸ τοῦ τόκου, ἐν τῷ τόκῳ καὶ μετὰ τὸν τόκον): الصياغة الآبائية الكلاسيكية المعتمدة لتثبيت دوام بتولية مريم.

(14) زواج وزرع (συζυγία καὶ σπορά): συζυγία تعني الرباط الزوجي أو الاقتران، و σπορά تعني البذر أو التدفق التناسلي البشري.

(15) الجذوة الإلهية (ἡ θεοπρομήτωρ): من Θεός (الله) + προμήτωρ (الجدّة / أم الأمّ)؛ وهو اللقب الليتورجي الحصري للقديسة حنة أم مريم العذراء.

(16) الكامل والمطلق في عدم الخطيئة

14 : (ὁ τελείως καὶ ἀπολύτως ἀναμάρτητος): ἀναμάρτητος

تعني المعصوم أو الخالي من الخطيئة (ἀ- نفي + ἁμαρτία خطيئة).

(17) بلا خطيئة على نحو نسبي (σχετικῶς ἀναμάρτητη): اصطلاح لاهوتي يؤكد أن مريم لم ترتكب خطايا شخصية إرادية طوال حياتها، لكنها ورثت طبيعة الموت والفساد من آدم كسائر البشر.

(18) تعسفية واستعلانية مبتدعة: αὐθαρέτως: (αὐθαρέτως καὶ ἐγωϊστικῶς καινοτομῶν) (بشكل تحكيمي/تعسفي فردي)، و ἐγωϊστικῶς (باستعلاء أناني)، و καινοτομῶν (من) καινοτομία = بدعة/استحداث أمر غريب عن الإيمان).

(19) عصمة البابا (τὸ "ἀλάθητο" τοῦ πάπα): ἀλάθητος - ἀ- (نفي) + λάθος (خطأ)؛ أي الذي لا يخطئ.

(20) حبل «بلا دنس» وحبل «بلا زرع» (Σύλληψις "ἄσπιλος" καὶ σύλληψις "ἄσπορος"): المقابلة اللفظية التي يركز عليها الرد؛ فالأولى تخص طهارة الأصل المفترضة عند اللاتين، والثانية تخص المعجزة الفعلية بتجسد المسيح فقط.

(21) على وزن: Τὴν ὠραιότητα: القالب النغمي الطقسي للكاثسما، وتُعرّب مطلعها في الخدم العربية: «لَمَّا رَأَى يَوْسُفُ حَسَنَ بَتُولَتِكَ».

(22) معجزة داخل معجزة مضاعفة (θαῦμα ἐν θαύματι διπλοῦν συνέδραμε): θαῦμα (أعجوبة)، و συνέδραμε (التقت أو تلاقت في نقطة واحدة).

(23) مسجاة كميتة وهي تفيض طيباً (μητρόθεος νεκροφόρος μυρίζουσα): μητρόθεος (أم الإله)، و νεκροφόρος (من) νεκρός ميت؛ أي الجسد الراقد كجثمان، و μυρίζουσα (تفوح بالمرز أو العطور الذكية التي تنفي تعفن القبر).

(24) في ولادتك (Ἐν τῇ Γεννήσει σου): التحليل النحوي يثبت أن المصدر Γέννησις متعدّ هنا؛ بالإضافة إليه ليست فاعليّة، بل مفعوليّة مقدرة للمولود (τοῦ Υἱοῦ σου).

(25) إضافة فاعليّة وإضافة مفعوليّة (Subjective Genitive vs Objective Genitive): قاعدة لغوية تفصل بين من يقع منه الحدث (الفاعل) ومن يقع عليه الحدث (المفعول به).

(26) حبل بلا زرع (σύλληψις ἄσπορος): (σύλληψις) (الحبل بالجنين داخل الرحم)، و ἄσπορος (من غير بذر رجالي).

(27) الأجداد القديسين (τῶν Ἀγίων Προπατόρων): Προπάτορες آباء وأجداد الأجيال السابقة من إبراهيم وداود إلى يواكيم وحنة، ويقع تذكراهم قبل الميلاد بأسبوعين.

(28) يفتخر القديسون... (Καυχῶνται ἐν δόξῃ οἱ Ἅγιοι ὅτι ἐκ σπέρματος αὐτῶν ὑπάρχει καρπὸς ἐκκλησίας ἡ ἀσπόρος τεκοῦσα σε): إثبات طقسي صريح بأن مريم نتجت من زرع بشري (ἐκ σπέρματος).

(29) المزروعة من البشر (ἐξ ἀνθρώπων σπαρεῖσαν): من الفعل σπείρω (يزرع)؛ وهو تصريح ليتورجي جازم بأن مريم العذراء زُرعت كبذرة وتولدت من اتصال بشري طبيعي تام.



(تثنية 7:32). **الذاكرة** ليست مجرد حنين إلى الماضي، بل هي **مسؤولية**.

فنحن لا نتمسك بالماضي لمجرد كونه قديماً، بل نتمسك بكل ما **يقودنا إلى المسيح**.

يعلم القديس باسيليوس الكبير الشبيبة أن ينتفعوا مما يقرأونه ويصادفونه، مقتدين بالنحل الذي لا يقف على جميع الأزهار بالطريقة نفسها، بل يأخذ منها ما يلائمه وينفعه. هذا هو ميزان المسيحي: لا خوف من الغريب، ولا انقياد أعمى لكل ما هو جديد.

إن جذور الشجرة لا تُرى، ولا أحد يُصقّق لها، ولا يراها أحد مبهرّة؛ ومع ذلك، فهي التي تُبقي الشجرة قائمة. فإن قطعها، قد تبقى الأوراق خضراء والأغصان يانعة لبرهة وجيزة، لكن الموت يكون قد بدأ بالفعل من الداخل.

والأمر نفسه ينطبق على الإنسان: يبدأ أولاً بالنسيان، ثم يفقد قدرته على التمييز، وبعدها يبدأ بالحنج، وحينئذ يتحوّل ما كان يوماً **إيماناً حياً** إلى مجرد عادة عائلية موروثة، تحتفظ بالشكل **وتفقد الروح**.

وهذا لعلّه الخطر الأعظم: أن تبقى الأيقونات معلقة على الجدران، لكن **تغيّب الصلاة عن البيت؛ أن يُوحّد القنديل، لكن يجهل الجميع سبب إشعاله؛ أن ترتدي الصليب، لكن نخجل من رسمه أمام الناس**. لا نخجل ممّا تسلمته من مقدّسات. لا نخجل من إيمانك، ولا من صلاتك، ولا من صومك، ولا من مزار الأيقونات في منزلك. لا نخجل لأنّ الذين سبقوك كانوا يحنون رؤوسهم بخشوع **أمام الله**.

لسنا بحاجة إلى إغلاق أعيننا عن العالم؛ بل نحن بحاجة إلى التمييز: أن نتعلّم دون أن نستسلم، ونحترم الجميع دون أن نختر ما ورثناه، ونمضي إلى الأمام دون أن نقطع وراءنا كل جذر.

فالموضات تزول، والأزمة تتبدّل، وما يبدو عظيماً اليوم سيصير في الغد منسياً؛ وحينها يتبقى سؤال واحد لا تملك أيّ موضّة الإجابة عنه:

من أنت؟

إنّ أعمق جوابٍ يملكه المسيحي لا يكمن في مجرد فخرٍ قومي، ولا في إضفاء مثاليّة موهومة على الماضي؛ بل يكمن في **المسيح**، الذي قال: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يوحنا 14:6).

فإن تمسكنا به هو (المسيح)، عرفنا كيف نُكرّم ذاكرتنا، واستطعنا أن نحبّ العالم دون أن نفقد ذاتنا.

هوسنا بكلّ ما هو غريب

ليس الخطر الأكبر أن تُعجّب بكلّ ما هو دّخيل، بل الخطر أن تصل إلى مرحلة تخجل فيها ممّا هو **أصيل فيك**.

وهذا تحديداً ما حدث لنا مراراً وتكراراً؛ إذ لم يُجبرنا أحدٌ على النسيان، بل بدأنا بأنفسنا نرى قديماً كلّ ما أقامنا على أقدامنا، ومُنتهى الصلاحية كلّ ما أورثنا إياه أجدادنا، وتافها كلّ ما كنّا نعدّه في يومٍ من الأيام **مقدّساً**.

تعلّمنا أن ننظر بإعجابٍ إلى كلّ ما يأتي من الخارج، وبسخريةٍ إلى كلّ ما وُلد داخل بيتنا. صار التراث بالنسبة لكثيرين شيئاً **باليًا ومتخلفاً** عن الموضة، **والإيمان** أمراً يُفضّل ألاّ يظهر كثيراً، **والصليب** شيئاً يُعلّق للزينة، ولكن يصعب المجاهرة به.

ليس عيباً أن تتعرّف إلى العالم، وتعلّم من الشعوب الأخرى، وتحترم ما يقدّمونه من خير. العيب أن تصل إلى حدّ الإعجاب الشديد بالغريب لدرجة أن تبدأ بازدراءٍ ما تسلمته من **مقدّسات**.

غير أنّ الأمر هنا يتطلب تمييزاً: فشتان بين العادات البشريّة لمنطقة ما، وبين التقليد المقدّس للكنيسة. فالعادات قابلة للتغيير، أمّا الإيمان الذي سلّم لنا من الرسل وحُفظ في أحضان الكنيسة، فليس موضّة ولا مجرد فولكلور شعبيّ.

يقول الرسول بولس: «فائتُّوا إذا أيّها الإخوة وتمسّكوا بالتقاليد» (2 تسالونيكي 15:2)، ويحدّثنا في موضع آخر: «لَا تُشَاكِلُوا هَذَا الدَّهْرَ» (رومية 12:2). **إنّه لا يطلب ممّا أن نكرة العالم، بل يطلب ألاّ نخسر أنفسنا في محاولتنا التشبّه به.**

علّمنا أطفالنا لغاتٍ أجنبيّة، وحسنّا فعلنا؛ وفتحنا لهم دروباً نحو العالم، وحسنّا فعلنا. ولكن، هل علّمناهم كيف **يرسمون إشارة الصليب؟** هل علّمناهم لماذا **تضاء القناديل؟** هل حدّثناهم **عن المسيح، وعن القديسين، وعن الصوم، والصلاة، والاعتراف، والقُدّاس الإلهي؟**

هل شرحنا لهم يوماً لماذا كان الجذّ **يرسم علامة الصليب** فوق الخبز قبل أن يقطعه؟ ولماذا كانت الجذّة تقول «**يا عذراء**» في الشدائد؟ ولماذا لم يكن جرسُ الكنيسة مجرد صدّ في القرية، بل دعوة إلى الصلاة والوقوف في **حضره الله؟**

يقول الكتاب المقدّس: «أذكرُ أيّامَ القَدَمِ» و«اسألُ أبَاكَ فَيُخبرَكَ»

الكتاب المقدس

العهد القديم

للتعليم الديني والآبائي



الله غير منظور لأعيننا الجسدية. وعندما صار الأقنوم الثاني من الثالوث القدوس، أي الابن، إنساناً، عايناً الطبيعة البشرية التي اتخذها، ولكن لاهوته ظل محتجباً وغير منظور.

(٧) شَفُوق، محب للبشر، كلي الصلاح وكثير الرحمة (كلي الرأفة) يتميز الإله الحقيقي بمحبته وجوده (صلاحه). غير أن هذا لا يُبطل ولا يُلغي عدله؛ فهو يقبل توبة أكبر الخطاة، لكنه يمقت الخبث والأنانية والغطرسة والكبرياء والتعالي وكل شر.

(٨) غني عن الحاجة (غير محتاج)، أي بلا أي احتياج إنَّ الإله الحقيقي، الذي يؤمن به الأرثوذكس، ليس بحاجة إلى أي شيء؛ لا إلى أعمالنا الصالحة، ولا إلى صلواتنا. بل نحن البشر مَنْ نحتاج إلى هذه الأمور لنكون قريبين منه.

(٩) أزلي وأبدي (سرمدي) وهذا يعني أن إله الأرثوذكس ليس له بداية ولا نهاية، وهو ما نُعبّر عنه بأنه «غير مائت» (أو الحي الذي لا يموت / ἀθάνατος). وهذا ما نسمّيه خالداً (أي لا يموت ولا يفنى).

(١٠) حق (صادق) هو الذي يمكننا أن نثق به ثقة مطلقة؛ إنه جدير بالثقة والاعتماد عليه لأنه يقول الحق دائماً ولا يكذب أبداً.

(١١) خالق الملائكة، والكون، والإنسان، والفردوس هو الذي خلق الملائكة، والكون المذهل المحيط بنا، وفردوس السعادة اللامتناهية للكائنات الحرة (الملائكة والبشر) التي ترغب في أن تكون معه.

(١٢) عادل عبر التاريخ ليس في إلهنا أي ظلم. وكل ظلم يرتكبه البشر عبر التاريخ سببهم المحاسبة عليه وتحديد المسؤوليات بشأنه.



عن ذاته، كشف الله أنه:

(١) غير مخلوق، غير مصنوع، لا بدء له، وثالوثي؛ أي ثلاثة أقانيم، ولكن إله واحد.

وهذا يعني أنَّه لم يكن هناك زمان لم يكن الله فيه موجوداً. وبالنسبة إلى الأرثوذكسية، هذا هو أيضاً تعريف الله. الله هو ذاك الذي لم يُخلَق قط. نحن الأرثوذكس نعبد ذاك الذي لم يكن قط مخلوقاً أو مصنوعاً، ولم يأت قط من العدم إلى الوجود. وهذا ينطبق فقط على الأقانيم الثلاثة للثالوث القدوس: الآب والابن والروح القدس.

(٢) شخصي وهذا يعني أننا نستطيع أن نتواصل معه، مع توافر بعض الشروط.

(٣) المدبّر هو الذي خلق كل ما حولنا، ويعتني به، وله سلطان عليه ويدبّره. هو الرَّبّ. وهو يسمح بأن يحدث أي شيء. ولا يحدث شيء من دون سماحه.

(٤) ديّان (قاضي) هو، والوحيد الذي يُجري العدالة ويدين الكائنات الحرة (ذات الإرادة)، سواء في هذه الحياة أو في الحياة الأبدية.

(٥) قدوس، منزّه عن الخطيئة وكامل في الله لا يوجد أي عيب، ولا أية خطيئة، ولا أي مكر أو غش.

(٦) غير منظور (غير مرئي)

١٣) حرّ حرية مطلقة

إن إله الأرثوذكس لا يُجره أحد ولا يبتزه أحد. لقد تجسد وصار إنساناً بحرية كاملة، وتواصل معنا مباشرة دون أن يُرغمه أحد على ذلك.

١٤) واهب الحياة (معطي الحياة)

هو الذي منح ويمنح كل شكل من أشكال الحياة.

١٥) قابل للاشتراك فيه (أي في طاقاته الإلهية غير المخلوقة)

«وهذا يعني أن البشر لديهم القدرة على التواصل المباشر والاتحاد معه (في طاقاته غير المخلوقة)، من خلال الكنيسة وأسرارها.»

١٦) كلي الحكمة

يمكننا أن نتأمل بإعجاب نواميسه وحكمته وعظمته المتجليّة في الخليقة.

١٧) آب (١)

يتميز بمحبته الأبوية وعطفه اللامتناهي تجاه خليقته، لا بالبرود ولا باللامبالاة.

ملحوظة من جمعية نور المسيح لتوضيح رقم ١٧:

(١) يُميّز في اللاهوت الأرثوذكسي بين مستويين للأبوة الإلهيّة:

الأبوة الأَقْنومية (الثالوثية الأزلية): وتخص أقنوم الآب بصفته ينبوع المبدأ الأزلي غير المولود، الذي يلد الابن أزلّيًا وينشق منه الروح القدس أزلّيًا.

الأبوة التديبيرة (تجاه البشر والخليقة): وتعبّر عن علاقة الله الحانية بخليقته كـ «آب محب ورؤوف» يعرّى جبلته ويفيض عليها بالعطف والحنان، فلا يتعامل معها ببرود أو استعلاء، ولا يعتبر البشر مجرد عبيد أو كائنات متروكة. انتهت الملحوظة.

١٨) مُدَبِّر / صاحب عناية (ذو عناية إلهيّة)

يهتم ويعتني بالخيرات المادية الضرورية لقوتنا وبقائنا، وكذلك بالخيرات الروحية الضرورية لنكون في ملكوته.

١٩) حاضر في كل مكان (غير محدود / غير متناه)

صفة حصريّة للإله الحقيقي. لا يوجد جزء، أو حيز، أو موضع يغيب عنه الإله الحقيقي؛ ولا يعيقه أي شيء. وهذا يمنح المسيحيين يقيناً كبيراً وأماناً ورجاءً.

٢٠) كلي القدرة وضابط الكل

الإله الحقيقي يسود ويتسلط على كل شيء وهو كلي القوة. لا أحد يستطيع مقاومة قراراته أو إحباط اختياراته ومقاصده؛ وهذا ما قد برهن عليه حضوره الأرضي أيضاً.

٢١) كلي المعرفة (علام الغيوب)

الإله الحقيقي يعلم الماضي والحاضر والمستقبل. كل شيء مكشوف ومنبسط أمامه ككتاب مفتوح. هو الوحيد الذي يعلم ما في عقولنا وما لم نفكر فيه بعد، دون أن يكون هو نفسه مسؤولاً عن أي شيء

(من اختياراتنا).

٢٢) صانع العجائب (صانع المعجزات)

نستطيع القول إنّنا مغمورون بمعجزاته التي لم تتوقف ولن تتوقف أبداً. وحين يعيش الإنسان في هذه الحياة مختلف أنواع المآزق والشدائد، فإن اللجوء إلى الإله الحقيقي والتوكل عليه قادران على قلب وتغيير كل الموازين.

٢٣) طويل الأناة / صبور

وهذا يعني أن الله لا يترصب بحياتنا ولا يتصيد أخطاءنا كشرطي، بل يتحرك نحونا بعطف ومحبة للبشر، منتظراً رجوعنا واتحادنا به، لما فيه خيرنا ومنفعتنا. وهذا ما يُسمّى بعبارة أخرى: الثبّل والشهامة الإلهية (الجود والترفع).

٢٤) مُخَلِّص

إن الإله الحقيقي يريدنا في ملكوته، لنكون سعداء إلى الأبد. ولهذا السبب صنع عبر التاريخ كل ما يلزم لكي نبلغ ذلك؛ وهذا ما يُسمّى بالخلاص. والإله الحقيقي هو الذي يغفر خطايا البشر من خلال سرّ الاعتراف.

٢٥) صاحب سلطان على الأرواح الشريرة (قاهر الشياطين)

الأرواح الشريرة (الشياطين) عاجزة تماماً أمام الإله الحقيقي؛ فهم متعدّون على المشيئة الإلهية، ولا يملكون بأي حال من الأحوال سلطاناً أو قوة إلهيّة. وهم يخدعون السذج حين يظهرون ويزعمون أن لديهم سلطاناً إلهيّاً. إنهم مجرد مخلوقات أساءت استخدام حريتها، فخرجت عن الجادة، ورسخت في عدم التوبة والكبرياء. إنهم يرتعدون أمام عدالة الله، والكهنوت الأرثوذكسي، ونعمة القديسين ووالدة الإله.

٢٦) مؤدّب ومجازٍ على الخطيئة والشر

لقد أظهر الله عبر التاريخ أنه ليس عديم الاكتراث تجاه شؤون البشر الشخصية أو الأحداث العامة. ويجب ألا ننسى أنه عندما يحدث تعدّد للحدود الأخلاقية، فإن الله يؤدّب الإنسان أو الجنس البشري تأديباً تربوياً (تهديبياً)، واضعاً حداً لانتشار الشر، ومعلماً إيّانا عملياً أن الاصطدام بمشيئة الله هو أمر غير نافع وخاسر لنا.



الكتاب المقدس والتقليد المقدس

الصِّيَاغَةُ الْحُرَّةُ:
شَرْحٌ مُبَسَّطٌ لِلْمَعْنَى.

مَادَّةٌ كِتَابِيَّةٌ

المَصْدَرُ:

نَصُّ كِتَابِيٍّ أَوْ آبَائِيٍّ مُوثَّقٌ.



الصِّيَاغَةُ الْحُرَّةُ:

«مَا أَعْجَبَ كُلَّ مَا خَلَقْتَ يَا رَبُّ! لَقَدْ
صَنَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ بِحِكْمَةٍ.»

أ

اللهُ كُلُّي
الحِكْمَةُ

المَصْدَرُ:



«مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ! كُلُّهَا بِحِكْمَةٍ
صَنَعْتَ.» (مزمو ١٠٣: ٢٤)
(العهد القديم)



الصِّيَاغَةُ الْحُرَّةُ:

«قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، خَلَقَ اللهُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ.»

ب

اللهُ هُوَ
الْخَالِقُ

المَصْدَرُ:



«فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.»
(تكوين ١: ١)
(العهد القديم)



الصِّيَاغَةُ الْحُرَّةُ:

«مَنْ دُونَ إِذْنِي وَسَمَاحِي، لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَفْعَلُوا
شَيْئًا.» (أو: «مَنْ دُونَ مُوَافَقَتِي...» حسب تفضيل
نقل συγκατάθεσή μου حرفيًا)

ج

اللهُ كُلُّي
الْقُدْرَةُ

المَصْدَرُ:



«بِدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا.»
(يوحنا ١٥ : ٥)
(العهد الجديد)

مَادَّةٌ آبَائِيَّةٌ



الصِّيَاغَةُ الْحُرَّةُ:

«الآبُ رَجَائِي، وَالْإِبْنُ مَلْجَأِي، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ وَقَائِي،
أَيُّهَا الثَّلَاثُ الْقُدُوسُ الْمَجْدُ لَكَ.»

د

اللهُ ثَلَاثِي
الْأَقَانِيمُ

المَصْدَرُ:



«الآبُ رَجَائِي، وَالْإِبْنُ مَلْجَأِي، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ وَقَائِي،
أَيُّهَا الثَّلَاثُ الْقُدُوسُ الْمَجْدُ لَكَ.» (من خِدْمَةِ الْمَدِيحِ)



الصِّيَاغَةُ الْحُرَّةُ:

«تَتَجَلَّى مَحَبَّةُ اللهِ لِلبَشَرِ فِي خَلْقِ الْعَالَمِ،
وَكَذَلِكَ فِي ذَبِيحَةِ الصَّلِيبِ.»

هـ

اللهُ مُحِبٌّ
لِلْبَشَرِ

المَصْدَرُ:



«إِنَّ مَحَبَّةَ اللهِ لِلْبَشَرِ تُظْهِرُهَا خَلِيقَةُ الْعَالَمِ، وَبِالْأَكْثَرِ
تَنَازَلُهُ بِوَاسِطَةِ الصَّلِيبِ.» الْقُدَيْسُ يُوْحَنَّا الدَّهْيِيُّ الْقَم
P.G. 55, 322



الصِّيَاغَةُ الْحُرَّةُ:

«اللهُ يَعْتَنِي بِنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ وَفِي كُلِّ أَمْرٍ.»

و

اللهُ ذُو عِنَايَةٍ
(مُدَبِّرٌ)

المَصْدَرُ:



«أَلْقُوا كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِي بِكُمْ.»
(١ بُطْرُس ٥ : ٧)



«ولكن، مع أن الله قد فعل الجزء الأكبر - إن لم نقل كل شيء - فقد ترك شيئاً صغيراً يمكننا أن نفعله نحن البشر؛ وذلك لكي يكون منح الإكرام (الأكاليل) لنا عادلاً»

«وَلَيْتَن كَانَ الْأَمْرُ فِي جُلَّةِ مَنْ عِنْدَهُ هُوَ، بَلْ وَفِي الْكُلِّ تَقَرُّباً،
إِلَّا أَنَّهُ تَرَكَ لَنَا أَيْضاً شَيْئاً يَسِيرًا، لِكَيْ يَكُونَ لَنَا سَبَبٌ وَجِيهٌ
وَمُبَرِّرٌ لِنَلِيزِ الْأَكَالِيلِ» الْقُدَيْسُ يُوْحَنَّا الدَّهْيِيُّ الْقَم P.G. 55,



«Τίς ἐδίδαξε τὴν μέλισσαν ἐργάζεσθαι τὸν κηρὸν καὶ σὺν ἐκείνῳ τὸ μέλι; τίς τὴν πίτυν καὶ τὴν τερέβινθον καὶ τῆς μαστίχης τὸ δένδρον τὸν λιπαρὸν ἐκείνον χυμὸν ἀποστάζειν ἐποίησεν; τίς τὴν Ἰνδῶν χώραν ἐδημιούργησε ξηρῶν καρπῶν καὶ εὐωδῶν μητέρα; τίς τὴν ἐλαίαν ἔφυσε πόνων σωματικῶν καὶ ἀλγηδόνων ἐπίκουρον;»

«Τίς ἔδωκεν ἡμῖν ῥιζῶν καὶ βοτανῶν διάγνωσιν καὶ τῶν ἐν αὐταῖς ποιότητων τὴν μάθησιν; Τίς τὴν ποιητικὴν ὑγείας ἱατρικὴν συνεστήσατο; τίς ἀνῆκεν ἐκ τῆς γῆς θερμῶν ὑδάτων πηγάς, τὰς μὲν τὸ ψυχρὸν καὶ ὑγρὸν ἡμῶν ἰωμένας, τὰς δὲ τὸ ξηρὸν ἢ πεπυκνωμένον λυσούσας;»

«Καὶ προσῆκεν εὐκαίρως εἰπεῖν κατὰ τὸν Βαρούχ· «Οὗτος (ὁ Θεός) ἐξέυρε πᾶσαν ὁδὸν ἐπιστήμης καὶ ἔδωκεν αὐτὴν Ἰακώβ τῷ παιδί αὐτοῦ καὶ Ἰσραὴλ τῷ ἡγαπημένῳ ὑπ' αὐτοῦ». Βαρούχ Γ, ٣٧»

Διὰ τοῦτο τέχνηαι ἔμπυροι καὶ πυρὸς χωρίς, καὶ ἄλλαι ἔνυδροι καὶ μυρία τῶν ἐπιτηδευμάτων ἐύρέσεις, ἵνα ταῖς τοῦ βίου χρείαις ἀνενδεῆς ἡ διακονία τελεῖται· καὶ ὁ μὲν Θεὸς οὕτως, ὁ πρῶτος τῆς εὐποΐας εὐρετῆς καὶ τῶν ἡμῶν ἀναγκαίων πλούσιος ὁμοῦ καὶ συμπαθὲς χορηγός

Ἅγιος Γρηγόριος Νύσσης

و

الإله

المُدَبِّر

ذو

العناية

وَكُلِّي

الحكمة

الذي

يؤمن

به

الأرثوذكس



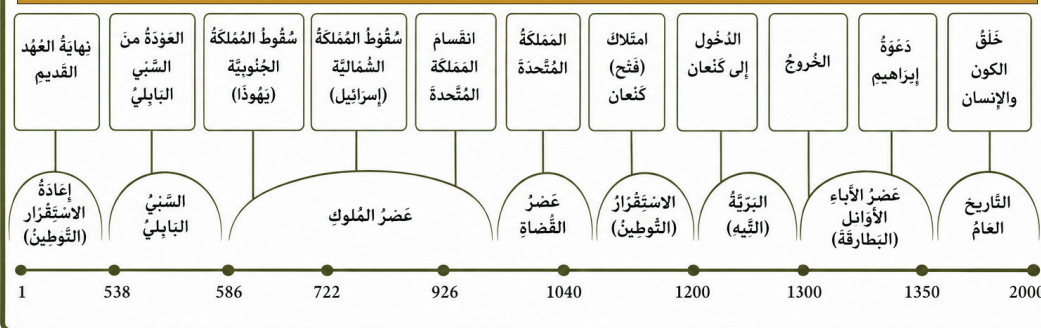
«مَنْ عَلَّمَ النَّحْلَةَ أَنْ تَصْنَعَ قُرْصَ الشَّمْعِ وَثَمَلَاةَ عَسَلًا فِي الْوَقْتِ عَيْنِهِ؟ وَمَنْ أَلْهَمَ الصَّنَوْبَرَ وَالْبُطْمَ وَشَجَرَ الْمُصْطَكَى أَنْ تُقَطَّرَ ذَلِكَ الصَّمْعُ الرَّيِّيَّ الْمَمِيزَ (الرَّائِنَج)؟ وَمَنْ جَعَلَ بِلَادَ الْهِنْدِ أَمَّا لِلثَّمَارِ الْمُجَفَّفَةِ (المَكْسَرَاتِ) وَالْأَفَاوِيهِ الْعَطِرَةِ؟ وَمَنْ أَنْبَتَ شَجَرَةَ الرَّيْثُونِ لِتَكُونَ (بِرَيْثِهَا) بَلَسْمًا يُجَفِّفُ عَنَّا الْأَلَامَ الْحَسَدِيَّةَ وَالْأَوْجَاعَ؟

مَنْ وَهَبَنَا الْفُطْنَةَ لِنَمِيزَ الْخَصَائِصَ الْعِلَاجِيَّةَ الَّتِي تَمْتَلِكُهَا الْجُدُورُ وَالْأَعْشَابُ؟ وَمَنْ أَرْسَى قَوَاعِدَ عِلْمِ الطَّبِّ لِيعِيدَ لَنَا صِحَّتَنَا؟ وَمَنْ أَنْبَعَ مِنْ حَوْفِ الْأَرْضِ عُيُونَ الْمِيَاهِ الْحَارَةِ؛ لِتُعَالِجَ تَارَةً بُرُودَةَ أَجْسَادِنَا وَرُطُوبَتِهَا، وَتَقُلِّكَ تَارَةً أُخْرَى يُبَوِّسُهَا وَتَصَلِّبُهَا؟

هُنَا تَنْطَبِقُ تَمَامًا كَلِمَاتُ بَارُوحَ (مِنْ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ): «إِنَّ هَذَا (الإله) قَدْ اهْتَدَى إِلَى طَرِيقِ الْحِكْمَةِ كُلِّهِ، وَآتَاهُ لِيَعْقُوبَ خَادِمِهِ، وَلِإِسْرَائِيلَ حَبِيبِهِ» (باروخ 3: 37).

لِهَذَا السَّبَبِ وَجَدَتْ صِنَاعَاتٌ وَمِهَنٌ تَعْتَمِدُ عَلَى النَّارِ، وَأُخْرَى تَعْمَلُ بِغَيْرِ نَارٍ، وَحِرْفٌ تَقُومُ عَلَى الْمَاءِ، وَعَدَدٌ لَا يُحْصَى مِنَ الْإِبتِكَارَاتِ، حَتَّى تَكُونَ خِدْمَةُ حَاجَاتِ الْحَيَاةِ كَامِلَةً بِلَا نَقْصٍ؛ وَهَكَذَا فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَبْتَكِرُ الْأَوَّلُ لِكُلِّ إِحْسَانٍ، وَالْمَانِحُ السَّخِيَّ وَالْمُتَرَنِّفُ بِتَأْمِينِ جَمِيعِ اخْتِيَاجَاتِنَا.». (القديس غريغوريوس النيصي - في الإحسان)

مُوجَزُ الْحَقَبِ التَّارِيخِيَّةِ، وَالْأَحْدَاثِ التَّارِيخِيَّةِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ (ق.م.)



يقدم هذا الرسم موجزًا للحقب والأحداث الرئيسة في العهد القديم، منذ خلق الكون والإنسان حتى نهاية العهد القديم. أما السنوات المدونة أسفل الخط الزمني، فتبدأ تقريبًا من عصر الآباء، ودعوة إبراهيم وخروجه من بلاد ما بين النهرين نحو أرض كنعان، ولا تشير سنة 2000 ق.م. إلى تاريخ خلق الكون.

سِرُّ التَّدْبِيرِ الإِلَهِيِّ:

العهد القديم ليس قصة انتهت أحداثها، بل هو مسيرة تدبير الله الخلاصي في التاريخ؛ تمتد من خلق الكون والإنسان، وعبر العهود والنُّبُوت، لَتَبْلُغَ مَلَأَهَا وَتَحَقِّقَهَا فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ، مُخَلِّصِ الْعَالَمِ.



الصفات الإلهية الـ ٢٦

القائمة الكاملة كما وردت في نص الكتاب

الصفة الإلهية	الأصل اليوناني	الدلالة اللاهوتية
١ ثالوث قدوس / ثلاثي الأقانيم	(Τριαδικός - Τρισυπόστατος)	إله واحد في ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر والمجد: الآب والابن والروح القدس.
٢ أزلي أبدي / غير زمني	(Ἀχρονος)	كان قبل كل الدهور ولا يخضع لقيد الزمان والبداية والنهاية.
٣ غير مادي / غير هيكلي	(Ἄυλος)	روح خالص بسيط، لا يتركب من مادة ولا يحد بأي قوام جسدي.
٤ غير مرئي	(Αόρατος)	لا يرى بالعين الجسدية المجردة في جوهره الإلهي.
٥ غير متغير / غير متبدل	(Ἀναλλοίωτος)	ثابت في كماليه وصلابه، لا يطرأ عليه تحول أو تبدل.
٦ غير فاسد / عديم البلى	(Ἀφθαρτος)	منزه عن الفساد أو التحلل أو الزوال.
٧ غير مائت / خالد	(Ἀθάνατος)	حي بذاته إلى الأبد، ينبوع الحياة ومنصدها لكل كائن.
٨ كلي الحكمة	(Πάνσοφος)	مدبر لكل شيء بحكمة فائقة ونظام بديع لا يغلى عليه.
٩ كلي الصلاح	(Πανάγαθος)	أصل الجود والخير المطلق، لا يصدر عنه إلا كل بر وصلاح.
١٠ كلي القداسة	(Πανάγιος)	منزه عن كل شائبة وخطيئة، قدوس في ذاته ومقدس للنفوس.
١١ غير محتاج / مكتف بذاته	(Ἀνεκδής)	لا يغيظه أي شيء من خلقه، بل هو كمال الغنى والإكفائه.
١٢ حر مطلق الإرادة	(Ἐλεύθερος)	يخلق ويدبر بحرية مطلقة دون أي إكراه أو ضرورة جبرية.
١٣ الخالق	(Δημιουργός)	أوجد كل المكونة وما فيها من العدم إلى الوجود بمشيئته ومحبته.
١٤ غير مدرك ويستحيل الاقتراب منه بالجوهر	(Ἀπρόσιτος / Ἀκατάληπτος)	يسمو جوهره الإلهي عن عقول المخلوقات وإدراكها.
١٥ قابل للاشتراك فيه	(Μεθεκτός)	يفيض بطاقاته غير المخلوقة ليتحد به الإنسان بالنعمة عبر الكنيسة وأسرارها.
١٦ عادل	(Δίκαιος)	قاضي مستقيم يحكم بالحق والإنصاف دون محاباة للوجوه.
١٧ أب	(Πατέρας)	يتميز بخنائه ورعايته الأبوية الفائقة تجاه خلقه وبني البشر.
١٨ مدبر / ذو عناية إلهية	(Προνοητικός)	يعتني بجميع احتياجاتنا المادية لحفظ حياتنا، والروحانية لبُلوغ ملكوته.
١٩ حاضر في كل مكان / غير محدود	(Πανταχοῦ παρὼν - Ἀπειρος)	يملأ الوجود كله بخصوه ولا يخصره مكان أو حين.
٢٠ كلي القدرة وضابط الكل	(Παντοδύναμος καὶ Παντοκράτορας)	صاحب السلطان المطلق على الكون كله، ولا راد لمقاصده ومشيئته.
٢١ كلي المعرفة / علام الغيوب	(Παντογνώστης)	عالم بكل الأشياء: الماضي والحاضر والمستقبل وخفايا القلوب والأفكار.
٢٢ صانع العجائب	(Θαυματουργός)	يفيض بمعجزاته وأعماله الخارقة لتجدة الإنسان وتحويل مساره الأحداث.
٢٣ طويل الأناة / صبور	(Μακρόθυμος)	يتأفف بالخطاة وينتظر توبتهم ورجوعهم برحمة وتبلى إلهي دون تسرع في القضاء.
٢٤ مخلص	(Σωτήρας)	يقبدي الإنسان من سلطان الخطيئة والموت ليمنحه الحياة الأبدية ومغفرة الخطايا.
٢٥ صاحب سلطان على الأرواح الشريرة	(Εξουσιαστής τῶν πονηρῶν πνευμάτων)	قاهر الشياطين وضابط قوى الشر التي ترتعد أمام سلطانه وعذابه.
٢٦ مؤدب ومجاز على الخطيئة والشر	(Τιμωρὲς τῆς ἁμαρτίας καὶ τῆς κακίας)	يؤدب البشر تأديبا ترويا لوقف تمادي الشر وتعليم الإنسان بركة الخضوع للمشيئة الإلهية.

تنويه: أدرجت المصطلحات باليونانية للتوثيق الأكاديمي وضبط الأصل اللاهوتي، ويمكن للقارئ الاكتفاء بالعمودين العربيين.

الفصل الخامس عشر

† « لَا تَعَزَّ مِنَ الْأَشْرَارِ وَلَا تَحْسَدِ الْأَثَمَةَ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ ثَوَابٌ لِلْأَشْرَارِ. سِرَاجُ الْأَثَمَةِ يَنْطَفِئُ. » (أم ٢٤ : ١٩-٢٠).

وبعد عشرة أيام حضر من استدعى ماريا فراغودي، ابنة بائعة الشموع، لتخضع للمعاينة من قبل الطبيب الشرعي. ولحسن الحظ أنها كانت قد حافظت على عذريتها رغم أمها الخاطئة، ورغم إهمالها وتعرضها لجميع أنواع المغريات، ورغم طبيعتها المتقلبة. وكانت هذه ضربة قاسية للقاضي الغضوب غريغوار ت. الذي وجد نفسه في مأزق.

ولا شك في أن الرب يسمح بأن ينوء مختاروه تحت ثقل الصليب، لكنه لا يسمح أبداً بأن يقعوا في مأزق، بل يجنبهم العار والمصيبة. وهكذا فقد تدبرت الأمور الآن. ومرت الأيام ببطء، فيما كانت الأحداث العالمية تكتب صفحات تاريخية جديدة بالدم والدموع. ثم انتهت الحرب، وتأسست عصبة الأمم، وعوقب المنهزمون. وكان المتروبوليت ملاتيوس يواجه مشكلات اكليزيكية لا عد لها، وكان قد نسي تقريباً قضية إيجينا. وبعد أشهر حضرت إلى الدير امرأة أنيقة الملبس شاحبة الوجه، والتمست مقابلة الشيخ القديس نكتاريوس. فسألوها عند الباب: «ماذا تبتغين؟» - «من الضروري جداً أن أراه».

وكانت كثيرة التجهم، فاعتقدوا بأنها مريضة، وأنها حضرت للصلاة، فسمحوا لها بالدخول. وما ان رأت نكتاريوس حتى ارتمت عند قدميه وهي تجهش بالبكاء وتصرخ قائلة: «اغفر لي أيها الأب القديس». وأجهشت بالبكاء أكثر فأكثر، وقالت:

شذرات روحية من جبل آثوس المقدس

سؤال: كم طريقاً للدخول وللمغفرة الخطايا من الله توجد، لمن يعترف بها أمامه؟

جواب: توجد ثلاثة طرق:

الأول: ألا يخطئ الإنسان من بعد على الإطلاق.

الثاني: أن يتوب توبةً لا تئمة (مستحقة).

الثالث: يوجد أيضاً طريق ثالث لخلص أولئك الذين أخطأوا،



القديس نكتاريوس العجائبي

- «اغفر لزوجي، فهو مصاب بالغرغرينة وحياته في خطر».

فسألها: «أرجوك أن تقولي لي من أنت».

- «أنا زوجة غريغوار ت. من البيرية. انه القاضي الذي شتمك منذ بضعة أشهر».

فأخضعها نكتاريوس وباركها وقال لها:

- «لقد غفرت له منذ اللحظة الأولى يا ابنتي. وسوف أصلي من جديد. سأصلي هذا المساء إلى والدة الإله لكي تتشفع به. كيف أصيب بالغرغرينة؟»

- «إن الأطباء عاجزون عن فهم أسباب مرضه يا صاحب السيادة، والغرغرينة تنتشر. إنها تزداد انتشاراً في كل دقيقة. والأسوأ أنه يتألم ويتعذب. لقد أرادوا أن يستأصلوا ذراعاه عند الكتف فرفض. إن حياته في خطر أيها الأب القديس. فما العمل؟ أنا حزينة، وأحياناً أفقد صوابي. - «أين هو؟»

- «في مستشفى البشارة، في الجناح الشمالي».

- «كان بودي أن أزوره، لكن للأسف إن صحتي لم تعد تسمح لي بذلك، فاني أعاني كثيراً في المدة الأخيرة من مرض شديد الإيلام».

- «وأنت أيضاً تتألم؟ آه لا، لم يعد ينقص إلا هذا: أن تقوم بالسفر من إيجينا... لقد أحضرت لك قميصه في حقيتي. صل من أجله، أرجوك».

ثم أعطته صرة صغيرة، وانحنى لتقبل يده، ورحلت باكية كما جاءت. وقد صلى مؤسس الدير الشيخ المتوحد بحارة، ومن أعماق القلب، أمام المذبح المقدس. لكن القاضي فارق الحياة بعد خمسة أيام عند منتصف الليل، وهو يعاني آلاماً فظيعة. وكان وحيداً في سريريه في المستشفى، والرب وحده يعلم كيف ولماذا لم يشف.

يتبع في العدد القادم

وهو: عبر التجارب والشدائد والصبر، وفقاً لما قيل: «بِلِجَامٍ وَشَكِيمَةٍ تُضَبِّطُ أَفْوَاهُهُمْ كَيْ لَا يَقْتَرِبُوا إِلَيْكَ» (مز 31: 9). وهو ما حدث مع نبوخذ نصر (دانيال 4: 1).

لأن هناك حالات يدخل فيها الله الخاطي الذي لم يتب في تجارب ومحن؛ ومن خلال هذه المحن يبلغ الاتضاع، ويسبب هذا الاتضاع يخلص دون ممارسة نسكية، تماماً مثل العشار واللس.

القديس أنستاسيوس السينائي: (الأعمال الكاملة «سلسلة EPE» الأسئلة والأجوبة، المجلد 13 ج، ص 151-153)





أنفسهم فوراً. علينا أن نلهم، لا أن نوبخ وننتقد.

«مرات كثيرة حين كنا نذهب إلى القديس، كان يمد يده فيأخذ من قربه، دون أن ينظر إليها ودون أن يعدّها، صلباً خشبيّاً بيضاء بسيطة ويعطينا إيّاها كبركة. كنا نعدّها فنجدّها دائماً سبعة (ربما لأن أسرار الكنيسة سبعة). وفي إحدى الأمسيات، بحثت أُمّي في البيت كله لتجد بعضاً منها، لأنها كانت ترغب في اليوم التالي أن تهديها لبعض معارفنا. حزنت أُمّي لأنها بحثت سُدّي، فلم تجد ولو واحداً منها، إذ كانت توزعها بين الحين والآخر كعطايا. وحتى في وقت متأخر من الليل، عادت وفتشت في الأدراج لعلها تجد شيئاً، ولكن دون جدوى. فطمأنها والدي قائلاً إنّه في الصباح الباكر من اليوم التالي سيأخذها إلى ميليسي.

«وقبل أن يتمكننا من مغادرة المنزل، وفي وقت مبكر جداً من الصباح، طُرق بابنا. كانت الطارقة إيمانويلا (١)، التي قالت ما يلي: «أعطى الشيخ للرئيسة (الغبرونيّة) في الصباح الباكر هاتين المنديلين الوريقيين المجعدين، وأمرها أن تعطيهم لي وتقول: «خذي هذين إلى السيدة كليونيكي في الصباح الباكر، لأنها تنتظرهما وبجاجة إليهما». وعندما فتحت أُمّي المناديل الوريقيّة، رأت بدھشة بالغة ٧ صلبان صغيرة.»

الهامش: (١) كانت إيمانويلا تنام لسنوات في سيارتها بالقرب من القديس، كخادمة مستعدة لخدمته في أي شيء. وفي الصباح كانت تنصرف لتذهب إلى عملها. لاحقاً ترهّبت وصار اسمها كاسياني، وقد رقدت مؤخراً (في أوائل عام ٢٠١٥).

الفصل الرابع والعشرون:

مَنْ أَنْتَ حَتَّى تَدِينَ عَبْدَ غَيْرِكَ؟

درس القديس بورفيرْيوس في عدم الإدانة

في أحد الأيام، عندما ذهبت أُمّي إلى ميليسي، لاحظت فتاةً شابة كانت تنتظر دورها هي أيضاً. كانت ترتدي ملابس مبهجة واستفزازيّة للغاية، واضعةً مساحيق التبرج على وجهها وشعرها. كانت تلك الفتاة تعطي انطباعاً ظاهريّاً بأنها ترتاد الحانات وتتسم بأخلاقٍ متساهلة. بدأت سيّدة كانت تجلس بالقرب منها تدينها بشدة، إلى حدّ بات فيه الأمر ملحوظاً من قبل الآخرين. وبعد أن وبختها بقسوة، وكانت الفتاة تُبدي حرجاً وارتباكاً شديدين وهي تطأطئ رأسها، حان دور تلك السيّدة فدخلت إلى الشيخ (البيروندا). وفي غضون دقيقتين خرجت على الفور وهي تبكي. وعندما اقتربت منها بقية النسوة، قالت إنّه ما إن دخلت، حتى خاطبها الشيخ بصرامة بالغة وأنها على موقفها تجاه الفتاة

الشابة، وقال لها: «اخرجي، اذهبي، اذهبي... مَنْ أَنْتِ حتى تتكلمي بهذا القبح علانيةً مع هذه الفتاة؟ المسيح لا ينظر إلى ما ترتديه، بل ينظر إلى نفوسنا. فهل تعلمين أنتِ ما هي نفسية هذه الفتاة وطبيعة روحها؟».

وفي مناسبة أخرى، قال الشيخ عن هذا الموضوع: «هؤلاء الأبناء لم يعرفوا المسيح بعد لكي يحبوه؛ إنهم يملكون نفوساً طيّبة جداً، وإنّهم عرفوا أباهم الحقيقي الذي يحبهم إلى هذا الحدّ، فسيغيرون مظهرهم من تلقاء





الإصحاح السابع

العظة التاسعة عشر: (١ كو ٧: ١-٤٠):

«وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْأُمُورِ الَّتِي كُتِبَتْ لِي عَنْهَا: فَحَسَنٌ لِلرَّجُلِ أَنْ لَا يَمَسَّ امْرَأَةً. وَلَكِنْ لِسَبَبِ الزَّنا، لِيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ امْرَأَتُهُ، وَلِيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ رَجُلُهَا» (١ كو ٧: ١-٢).

(١) بعدما حاول أن يُصَحِّحَ السلوك غير المستقيم من حيث إرتكاب الخطايا الجسيمة وهي:

أولاً تقسيم الكنيسة، **ثانياً** خطية الزنا، **ثالثاً** خطية الطمع،

نجد فيما بعد يتحدث بصورة أكثر هدوءاً، ثم بدأ في تقديم نصائح وإرشادات خاصة بالزواج والبتولية، فأراح المستمع من جهة الأمور الثقيلة. إلا أنه يفعل العكس في الرسالة الثانية، فيبدأ بحديث لين ووديع، لكنه يختم بقسوة. أما هنا فبعدما يُنهي حديثه عن البتولية، يتقدم مرة أخرى نحو الأمور المحزنة، دون أن يشير إلى كل شيء بعد ذلك، بل يُنَوِّع حديثه تجاه كل حالة، بما تقتضيه الظروف وضرورة الموضوعات. ولذلك يقول «مِنْ جِهَةِ الْأُمُورِ الَّتِي كُتِبَتْ لِي عَنْهَا»، لأهم كتبوا له ليسألوه ما إذا كان يجب على الرجل أن يتعد عن امرأته أم لا. إذا فقد أجاب على ذلك، وقتن أو شرع للزواج، وتحدث عن البتولية.

يقول: «فَحَسَنٌ لِلرَّجُلِ أَنْ لَا يَمَسَّ امْرَأَةً». أي أنه إذا كنت تسعى في طلب الحياة الأسمى، فمن الأفضل ألا يكون لك علاقة بامرأة. أما إذا كنت تطلب الأمان والعون، بسبب ضعفك، فلتتزوج. لكن لأنه كان من الطبيعي - **الأمر الذي يحدث الآن أيضاً** - أن يرغب رجل ما أن يتزوج، بينما لا تريد امرأة، أو قد يحدث العكس، لاحظ كيف يتكلم عن كل حالة على حِدا. ويدّعي البعض أن حديثه هذا، قد قيل للكهنة، ولكنني لا أعتقد أن الأمر هكذا، للأسباب التالية: إذا كان هذا الكلام قد كُتِبَ للكهنة، ما كان له أن يُعطي لنصيحته سمة العمومية، بل لكان قد قال حسناً للمعلم ألا يمس امرأة. لكنه الآن يطرح الأمر بصورة عامة، قائلاً: «فَحَسَنٌ لِلرَّجُلِ»، وليس فقط

للكاهن. ويقول أيضاً «أَنْتَ مُنْفَصِلٌ عَنْ امْرَأَةٍ، فَلَا تَطْلُبْ امْرَأَةً» (١ كو ٧: ٢٧). لم يقل أنت أيها الكاهن، وأيها المعلم، لكنه تكلم بشكل عام وبلا تحديد. وبهذا الروح أكمل حديثه. إذ يقول: «وَلَكِنْ لِسَبَبِ الزَّنا، لِيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ امْرَأَتُهُ»، وبسبب التسامح ذاته، يحوّل حديثه إلى العفة وضبط النفس.

ثم يقول: «لِيُوفِ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ حَقَّهَا الْوَاجِبَ، وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ أَيْضًا الرَّجُلَ. لَيْسَ لِلْمَرْأَةِ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهَا، بَلْ لِلرَّجُلِ. وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ أَيْضًا لَيْسَ لَهُ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهِ، بَلْ لِلْمَرْأَةِ» (١ كو ٧: ٣-٤).

وما هي الكرامة الواجبة؟ «لَيْسَ لِلْمَرْأَةِ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهَا» (١ كو ٧: ٤)، بل هي عبدة وسيّدة لزوجها، وإن تحرّرت من عبودية الزوجية، ستصطدم **بالله**. وإن رغبت في أن تتحرّري من هذه العلاقة الزوجية عندما يسمح لك زوجك بهذا، فليصر هذا لفترة زمنية قصيرة (أي لا ينبغي أن تفارقي رجلك). ولذلك دعى الأمر بالذّين قائلاً: «لِيُوفِ» (١ كو ٧: ٣)، لكي يُبَيِّنَ أن لا أحد سيّد على نفسه، بل الواحد هو عبد للآخر. إذاً عندما ترى أن زانية تدفعك إلى إرتكاب الخطية، فقل إن جسدك ليس ملكاً لي، بل هو ملك لزوجي. لتحدث الزوجة أيضاً بهذا الكلام تجاه أولئك الذين يرغبون في أن يُحطَموا حكمتهما وتُعقّلها، ولتقل إن جسدك ليس ملكاً لي، بل هو لزوجي. وإن كانت المرأة والرجل لا يتسلطا على جسديهما، فبالأكثر لا يتسلطا على أموالهما.

إسمعن هذا أيتها النساء اللاّتي لكنّ أزواج، وأيتها الرجال الذين لكم زوجات، بما أنه لا يجب أن تفتكروا في أن لكم تسلط على أجسادكم، فبالأكثر جدّاً، لا ينبغي أن تعتقدوا أن لكم أموال خاصة بكم. وفي مواضع أخرى، سواء في العهد القديم أو في العهد الجديد، يُعطي الله التقدم والأولوية للرجل، قائلاً: «وَالرَّجُلُ يَكُونُ أَشْتِيَاقُكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ» (تك ٣: ١٦)، أمّا الرسول بولس فيكتب بطريقة أخرى، قائلاً: «أَيُّهَا الرَّجُلُ، أَحْبِبْ نِسَاءَكُمْ» (أف ٥: ٢٥)، «وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَلْتَهَبْ رَجُلَهَا». (أف ٥: ٣٣). لكن هناك لا يُشار إلى مَنْ هو

شيء، لأن ذلك هو الأهم من كل الأمور الأخرى.

وإن أردت فلنتناول هذا الأمر في إطار هذه الممارسات. فلو أن زوجة تعففت عن العلاقة الزوجية بدون رغبة زوجها، فماذا سيحدث وما هي فائدة الصوم الذي تمارسه وما فائدة التعفف عن هذه العلاقة، طالما أن المحبة قد تحطمت، وقد يلجأ الزوج إلى الزنا، لهذه الأسباب، وربما لا يزي، لكنه يُصاب بالضيق والحزن ويشتعل غضباً ويتشاحن ويفتعل مشاكل لا حصر لها ضد زوجته، ومن المؤكد أنه لا يوجد أي ربح من وراء ذلك، لأنه من المتوقع أن يحدث كثير من التهكم والمشاكل والنزاعات. بمعنى أنه عندما يحدث ويتشاجر الزوجان داخل البيت الواحد، فلن يكون البيت في حالة أفضل من قارب وسط أمواج مضطربة وهائجة، بينما قائد القارب يُسارع لضبط المقدمة. ولذلك قال: «لَا يَسْلُبُ أَحَدُكُمْ الْآخَرَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى مُوَافَقَةٍ، إِلَى حِينٍ، لِكَيْ تَتَفَرَّغُوا لِلصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ» (١ كو ٧: ٥)، وهو يعني بالصلاة هنا، الصلاة بجملة وبغيره، لأجل أمر محدد. ولكن إذا كانت العلاقات الزوجية بشكل عام، هي عائقاً يعطل الصلاة، فكيف يمكن أن تُقدم الصلاة الدائمة؟! إذاً من الممكن أن يعيش أحد مع زوجة ويصلي، إلا أنه مع التعفف، تصبح الصلاة أكثر وضوحاً وتديقاً، لأنه لم يقل فقط، لكي تُصلوا، بل أيضاً «لِكَيْ تَتَفَرَّغُوا»، معتبراً أن تلك الصلاة، تحتاج إلى تفرغ، لكن لم يعتبر الأمر نجاسة. ثم يُضيف قائلاً: «ثُمَّ جَمِّعُوا أَيْضًا مَعًا». ولكي لا يبدو أنه يقن فقط، فإنه يضيف السبب، قائلاً: «لِكَيْ لَا يُجَرِّبَكُمُ الشَّيْطَانُ». ولكي تعلم أنه ليس فقط الشيطان هو الذي يثير الزنا، أضاف «لِسَبَبِ عَدَمِ نَزَاهَتِكُمْ» (أي عدم انضباطكم).

يتبع في العدد القادم

الأسمى، ومن هو الأدنى، بل إن السيادة واحدة. ولماذا أتت الصياغة هكذا؟ لأنه يتحدث عن التعقل والعفة. بمعنى أنه في موضوعات أخرى، يقول ليكن الرجل هو المتقدم، ولكن عندما يكون حديثه عن التعقل والحكمة، لا يُنادي بذلك، يقول: «لَيْسَ لِلْمَرْأَةِ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهَا، بَلْ لِلرَّجُلِ. وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ أَيْضًا» (١ كو ٧: ٤)، وهنا تتجلى المساواة التامة، فليس هناك من هو أسمى من الآخر.

«لَا يَسْلُبُ أَحَدُكُمْ الْآخَرَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى مُوَافَقَةٍ» (١ كو ٧: ٥) عما يتحدث الرسول بولس؟ يقول هل يمكن للمرأة أن تتعفف عن ممارسة العلاقة الزوجية دون إرادة زوجها، ولا الرجل يستطيع فعل ذلك دون إرادة زوجته. ولماذا يكون الأمر على هذا الحال؟ لأن هناك شروور كثيرة تأتي من وراء مثل هذا التعفف: فسق وزنا وتوترات وإحتداد في البيوت، قد تحدث لهذا السبب. فلو أنهم كانوا يزنون، بينما لهم زوجات، فبالأكثر جداً تصبح هناك مشكلة لو حرمتهم من هذه الممارسة. وحسناً قال: «لَا يَسْلُبُ» (١ كو ٧: ٥)، وهنا يصف ما دعاه من قبل «دَيْن»، بأنه «سلب» بقوله: «لِيُوفِ» (١ كو ٧: ٣)، لكي يظهر ما يُحدثه التسلب من توترات. لأنه أن يتعفف أحد عن ممارسة العلاقة الزوجية دون إرادة الآخر، فهذا يعتبر سلب، بينما عندما تكون بينهما موافقة، فلن يكون بعد سلباً. فعلي سبيل المثال، إذا سقط شيء مني وأخذت بعضاً مما أملكه، فلن يُمكنني أن أدعي أن هذا سلب، أما الذي أخذ شيئاً دون إرادة مالكة، وقد إستخدم العنف في مواجهته، فإن هذا يُعد سلب. هذا تحديداً ما يفعله نساء كثيرات، ويرتكبن أكبر خطية، بسبب النسك الذي يُمارس، لأنهن بهذا يصرن مسؤولات عن إنحراف رجالهن ويُحطمن كل شيء. بيد أنه على المرء أن يُفضّل الوفاق على كل

هل تمرّ بجانب كنيسة مقدسة؟

لا تعبر دون أكثرات...

هل تمرّ بجوار كنيسة مقدسة؟ توقف قليلاً.

خمس دقائق لن تُعطّل مجرى حياتك، لكنها قد تكون راحة وبركة لنفسك.

ادخل بيت الله. أوقد شمعة، وقبل الأيقونات المقدسة بورع، وقف لحظة في صمت وصل. أشكر الرب على كل ما وهبك إياه، واطلب رحمته، وألق بين يديه أَلَمَكَ وقلبك وكل طلباتك.

«أَمَّا أَنَا فَبِكثْرَةِ رَحْمَتِكَ أَدْخُلُ بَيْتَكَ، وَأَسْجُدُ فِي هَيْكَلِ قُدْسِكَ بِخَوْفِكَ» (مزمو ٥: ٧).

نركض من الصباح حتى المساء وراء الواجبات والعمل والهموم، ونجد وقتاً لكل شيء. فلا ندع الله على هامش يومنا.

وإن تعذر عليك الدخول حقاً، فلا تمرّ بلامبالاة. قف للحظة، والتفت نحو الكنيسة وارسم إشارة الصليب بهدوء ووعي وخشوع. ليس بطريقة آلية ولا بحكم العادة، بل وإدراكك حاضراً أمام من تقف.



فالكنيسة ليست مجرد مبنى آخر في المدينة؛ بل هي مكان مقدس، موضع للصلاة والعبادة، حيث تقيم الكنيسة أسرارها المقدسة ويُدعى الإنسان ليوجه قلبه نحو الله.

لا تخجل من إيمانك: «فَكُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي قُدَّامَ النَّاسِ، أَعْتَرِفُ أَنَا أَيْضًا بِهِ قُدَّامَ أَبِي» (متى ١٠: ٣٢). وقفة قصيرة. إشارة صليب. شمعة. وصلاة. أمور تبدو صغيرة في أعين العالم، لكنها ثمينة جداً متى صدرت بإيمان وتواضع ومحبة لله.

لا تتجاوز ذاك الذي لا يتجاهلك أبداً.

توزع هذه المجلة مجاناً

لدعم نشاطات الجمعية تقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة، حساب رقم:

IBAN: IL480127260000000111122

كفر كنا - الشارع الرئيسي - ص. ب. ٦١٩

e-mail: light_christ@yahoo.com

http://lightchrist.org/bulletins.html

جمعية نور المسيح

المعزز المسؤول:

هشام خشيون - سكرتير جمعية نور المسيح